

الفاشوش

وحكم اللي ما يأسوش



الرجلة الثالثة

محمد صبحي

ما نفعله للوطن الضائع

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي ماييأسوش

تأليف: محمد صبحي محمد – المحامي

الطبعة الاولى – ٢٠٢٦

هذا المصنف الادبي، بما يتضمنه من نص وشخصيات واحداث وحبكة وتعبيرات وصياغات وعناصر ابداعية، محمي بموجب احكام قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصري رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢ وتعديلاته، وبموجب القوانين والاتفاقيات ذات الصلة.

لا يجوز، دون الحصول على اذن كتابي مسبق من المؤلف او من صاحب الحق، اعادة طبع، او نسخ، او نشر، او اعادة نشر، او توزيع، او اتاحة هذا المصنف، كلياً او جزئياً، باي وسيلة كانت، ورقية، او الكترونية، او صوتية، او رقمية، كما لا يجوز ترجمته او تحويله او اعداد مصنف مشتق منه او استغلاله باي صورة تستلزم ترخيصاً بموجب القانون.

ولا يخل ما سبق باي من الاستخدامات والاستثناءات التي اجازها القانون، بما في ذلك الاقتباس، او التحليل، او التلخيص، او النقد، او المناقشة، او الاعلام، وذلك في الحدود والشروط المقررة قانوناً، مع مراعاة نسبة المصنف الى مؤلفه وذكر المصدر متى كان ذلك واجباً قانوناً.

واي استخدام للمصنف خارج الحدود التي يجيزها القانون يتطلب الحصول على اذن كتابي مسبق من صاحب الحق.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

محمد صبحي

الفاشوش – الرواية الثالثة – حكم الي مابياسوش

© ٢٠٢٦

المحتويات

٥	اهداء.....
٦	رسالة شكر.....
٧	مقدمة.....
١١	الفصل الأول... لايف.....
٤٣	الفصل الثاني الدكتور عبدون.....
٧٣	الفصل الثالث ملف قضية.....
٩٤	الفصل الرابع سر التحنيط.....
١٣٧	الفصل الخامس بابا بوت.....
٢٣٠	الفصل السادس الأهرامات بالتقسيط.....
٣٠٦	الفصل السابع الخازن... خائفاً.....
٣٨١	الفصل الثامن ولد الهدى.....

اهداء

إلى طفل

والد أو ربما سيولد

يرى الوطن المستقبل بعينه

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

رسالة شكر

الى مَنْ رفعوا شعارات "الحوكمة" في العواصم
الباردة، ووقَّعوا شيكات القروض والتمويل في
الغرف المغلقة..

شكراً

لأنكم علَّمْتُمونا أن "حقوق الإنسان" تملك سقفاً
ينتهي عند حدود مصالحكم، وأنكم لا تُبالون بما
يحدث في البدروم طالما أن الصورة السنوية
للأيتام تصدر بزيٍّ منمَّق وشعار أنيق.

شكراً

مقدمة

حين يظن الطغاة أن بإمكانهم إعادة تدوير الاستبداد خلف شاشات لامعة، أو بيعنا أوهام الحوكمة والتنمية المستدامة عبر خوارزميات "البابا بوت" وخطب المستشارين، ينسون أن الزمن لا يتوقف، وأن الأجيال التي وُلدت على تراب العبث قد تتعلم يوماً كيف تهز أركان المعتقل.

في هذه المحطة الثالثة والأخيرة من ثلاثية الفاشوش،

الفاشوش في حكم اللي ميعرفوش

الفاشوش في حكم اللي ميستحوش

الفاشوش وحكم اللي مايأسوش

لا نعود لنحكي عن بدايات الوهم، بل عن محاولة كسر دائرته المفرغة .

هنا، لم يعد الصراع محصوراً بين هارب يسرق ومقيم يحكم بالحديد والنحاس؛ بل امتد ليطال شبكة كاملة من المصالح العابرة للحدود،

حيث تتلاقى شعارات "المنح الغربية" مع سجون البدروم المظلمة، ويتحول الأطفال إلى أرقام في دفاتر التصدير، بينما يقف الجميع أمام مرآة الحقيقة العارية. لكنه لا يري شيء

هنا، في "دار الأمل" التي أصبحت معسكراً للتجهيز والإنتاج، يتكشف الوجه الحقيقي للوصاية :

تكنولوجيا تخدم الطغيان، ونخب تبرر السقوط، ووعي مؤجل يُقابل بالمنشار والقفل المزدوج .

لكن في المقابل، يرتفع صوت جيلٍ رفض أن يستسلم لليأس، لي طرح السؤال الأصعب :

متى ندرك أن الأوطان لا تُبنى بملصقات "الشركاء"، ولا باللافتات الإلكترونية التي تحصي أنفاسنا، بل بالتعليم الحقيقي، وسيادة القانون، وحق الإنسان في أن يسأل؟

وربما تساءل البعض: لماذا تتشابك هذه الأحداث وتتوالى فصولها بهذه القسوة والعبث المتكرر؟

الحقيقة أن أحداث هذه **ثلاثية الفاشوش** لم يكن المفترض أن تكون مرتبطة أو متسلسلة بهذا الشكل؛

إلا أن الواقع المرير الذي عاشه جيلي منذ نهايات حكم الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك وحتى اليوم في عام ٢٠٢٦، هو للأسف الذي ربط الخيوط ببعضها، ورسم اللوحة بهذا السواد المفزع.

نحن لا نكتب ترفاً، ولا ندعي الأدب نخبواً؛

أنا جنّت هنا لأحكي حكاية .. لكن في الثلاثية، حكاياتنا حقيقية

للأسف، حكاية جيل كامل على الأقل بعيوني.

الفاشوش – الرواية الثالثة – حكم اللي مابياسوش

هذه الرحلة لا تقدم حلولاً سحرية، ولا تمنح صكوك الغفران للجميع؛

بل تتركنا وجهاً لوجه أمام الحقيقة المرة: أن التغيير لا يأتيك على متن طائرة فاخرة، ولا يُمنح بعفوٍ مصور على أيدي الجلادين،

لكن التغيير يُنتزع حجراً بحجر، حين يقرر من استعبدوا مجدداً

أن يكسروا الصمت، وأن يكتبوا أسماءهم على السبورة بأيديهم.

ومرة ثالثة وأخيرة..

إن رأيت ذلك بين سطور هذه الرواية، أو سمعتَ

صدى تصریحٍ أطلقته يوماً على لسان أحد أبطالنا..

فتأكد تماماً أنك المقصود.

الفصل الأول...

لايف

غرفة صغيرة في لندن، سريرها ملاصق للمكتب، ومكتبها ملاصق للنافذة، والنافذة تطل على مطر لا يتوقف.

على المكتب هاتف ذكي مثبت في حامل، وحلقة ضوء تحيط به كهالة قديس، وعلى الشاشة رقم يزداد كل لحظة: ٢٤ ألف متابع.

سوّى نوح، صاحب الخامسة والعشرين عاماً، ياقة قميصه، ثم ابتسم ابتسامة من يعرف أن الكاميرا تحبه.

نوح:

— مساء الخير يا شباب! النهارده الحلقة الأسبوعية، حلقة سؤال وجواب. لكن من الأول كدة أي حد هيسأل عن امتحان الأسبوع الجاي، أنا عضو هيئة تدريس أه بس معنديش أي سلطة على الامتحانات، ودي أول حاجة اتعلمتها في الحوكمة.

مرت التعليقات على الشاشة كسرب نمل.



حساب باسم سلمى_الجدعة:

— أنا من مصر وعايزة أسأل: يعني إيه حوكمة يا دكتور؟

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

نوح:

— أحم أحم، مش دكتور لسه، بس شكراً على الثقة .

الحوكمة يا سلمى يا جدعة ببساطة هو إن مفيش حد فوق
المساءلة. لا وزير، ولا مدير، ولا حتى أنا ولا أنتي.

كل مسؤول لازم يقدر يشرح هو عمل إيه وعمله ليه، ويتحاسب
لو غلط. وأي حد يقولك إنه فوق السؤال، يبقى هو أكثر واحد
محتاج حوكمة.

حساب باسم كابتن ميدو:

— طب والذكاء الاصطناعي مفيد وهيصلح العالم، ولا خطر
وهيقضي على البشر؟

نوح:

— الذكاء الاصطناعي زي الطالب المجتهد. بيذاكر اللي تديهوله. لو ذاكر من كتب سليمة هيطلع سليم، ولو ذاكر من كتب فاسدة هيطلع فاسد... بس هو أسرع حبتين من أي طالب.

حساب باسم محمود_٩٩:

— طب لو اديناك داتا نضيصة تصلح لنا البلد في كام سنة؟

نوح (بنقة):

— خمس سنين. داتا نضيصة، وحوكمة محترمة.

حساب محمود_٩٩:

— احنا لسه مستنيين الأسانسير من ٢٠١٩.

ضحك نوح حتى مال إلى الخلف، ثم عاد وقد التقط تعليقاً جديداً.

حساب باسم أم_كريم:

— احكي لنا عن دار الأمل!

زفر نوح وهو يضحك، ورفع يديه كمن يسلم سلاحه.

نوح:

— واضح إن إخواننا من مصر احتلوا البث! منورين يا شباب،

بس والنبي كفاية دار الأمل بقي (وضحك من قلبه) .

الناس هنا في لندن حفظوا قصة دار الأمل أكثر منكم! بس...

عشان محدش يزعل، هحكي بسرعة وآخر مرة.

نوح:

— أمي كانت يتيمة، اتربت في دار اسمها دار الأمل ورعاية

البراءة .

والدار دي مكنتش مجرد دار أيتام، دي كانت عالم كبير .

وكان فيها بابا كبير في السن يحب الأيتام جداً، وكان بيخرج من الدار مرة في الشهر يجيب احتياجات الشهر كله، ومرة راح يجيب أكل ومرجعش، والروايات اختلفت مرجعش ليه.

بس مش ده المهم. المهم إن بعده جه شاب اسمه عبدون مكانه، بيقولوا إنه كان طيب ويحب إخواته، لكن القوة والسلطة جننته، حتى لو كانت سلطة على أيتام غلبة في دار مش دولة يعني. وبعدين سافر هو كمان، بس خد معاه كل ثروات الدار.

حساب سلمى_الجدعة:

— سافر فين؟

نوح:

— محدش عارف برضه والروايات كتير: اللي بيقول إنه هرب بالفلوس طمع يعني، واللي بيقول إنه كان رايح يجيب علاج

لمرض منتشر وقتها. بس الأكيد إن عبدون ده ساب الأيتام يموتوا واختفى.

وبعدها الإدارة اتغيرت كذا مرة... تغييرات إدارية عادية. وناس كتير سابوا الدار فجأة.

نوح:

— وأنا بقى الطفل الوحيد اللي أقدر أقول إنني ابن الدار، رغم إنني اتولدت بره سورها بخطوتين.

ماما اسمها فاتن، وأنا بدّلها وأقولها يا تونة، وهي بتتفرج علينا دلوقتي بالمناسبة. سلّمي على الشباب يا تونة!

ماما اتجوزت بابا إبراهيم اللي كان بيدير الدار بعد عبدون، واتعمل عليه ثورة... مش مهم، مش مهم.

المهم إن ماما كانت خارجة بتجري تَدِّي فطار لإخواتها الأيتام
اللي كانوا رايعين يشتغلوا في دار تانية، تقدروا تقولوا شبه
موظفين أو عمال، وكانت حامل فيا وأول ما خرجت من البوابة،
فجأة صرخت ووقعت على الأرض ولدتني على التراب.

وعشت أول سنين حياتي في الدار فتى مدلل، آخر العنقود بقى
وسكر معقود، زي ما انتوا شايفين.

ولما كبرت، زيدان اللي بيحكم الدار من أكثر من عشرين سنة
بعد بابا إبراهيم قال لماما تونة تبعنتي أدرس في مكان محترم
ومتقدم، وماما بعنتني أدرس هنا في لندن (بوسة كبيرة يا تونة).

حساب بأسم أم_كريم:

— ليه لندن؟ مفيش مدارس في بلدكم؟

نوح:

— في مدارس في مصر طُبعاً بس بعافية شويتين أما في الدار
محدث بقى بيروح مدارس.
ثم ضحك، فضحك معه الجميع، وانهالت القلوب الحمراء على
الشاشة.

نوح:

— وكفاية كده عشان عندي محاضرة مهمة الصبح. اللي مش
عامل لايك يعمل لايك. بحبكم... سلام!

ضغط الزر، فانطفت الحلقة، وعاد المطر وحده.

على السرير كانت أنجيلا جالسة منذ نصف ساعة، تمسك كوب شاي بارد، وتنتظر بصبر من اعتاد انتظار المحاكم.

أنجيلا:

— عندي كام سؤال يا نوح عن الدار.

نوح (يضحك):

— إنتي كمان؟ إيه مبتزهقوش! اتفضلي يا ستي. بس لو الأسئلة صعبة، أو إجابتها هتاخذ وقت، أسألي جون.

أنجيلا:

— جون لا يُسأل عن مصر إلا عن الأهرامات.

أنجيلا:

— هو إنت ناوي ترجع الدار في يوم؟

نوح:

— أنا بحلم باليوم اللي هرجع فيه.

أنجيلا:

— وهتعمل إيه لما ترجع؟

نوح:

— هحضن تونة. وأشوف خالي أنس، وخالتي زهرة، وعمو
عاصم، وخالي مضبوط.

أنجيلا:

— مضبوط!!!! ده اسمه كده؟

نوح:

— لأ، ده ليه حكايات، نحكيها بعدين بقى. مهو مش معنى إني
مدرّسك (يشير إلى نفسه) عبقرى، وخليتك إنتي وجون تتكلموا
مصري أحسن من المصريين، إنكم تعرفوا كل حاجة عن مصر.
المصريين ملهمش كتالوج، توقعي أي حاجة غريبة في أي وقت.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

أنجيلا:

— طب هو كل اللي في الدار في سن تونة ماماتك؟

نوح (بابتسامة):

— أنا بس اللي أقول تونة. بالنسبة لكم هي ماما فاتن عادي.

أما سؤالك بقي، فده اللي أعرفه، مش متأكد مية في المية: أنس وزهرة ومضبوط أصغر منها شوية. وسعيد وزيدان وعاصم أكبر. وفي أطفال كتير بيجوا الدار كل فترة، يعني فيه دلوقتي أصغر منهم كتير.

نوح:

— أه صحيح، كنت هنسى! وفيه اتنين تاني في سن ماما تقريباً، اسمهم منى وعبد الرحمن. بس محدش بيكلمني عنهم... مش عارف ليه. وكل ما أسأل يتهربوا.

نظرت إليه أنجيلا ولم تقل شيئاً. ثم وضعت الكوب.

أنجيلا:

— سألت كام مرة؟

نوح:

— مش فاكّر، بس كذا مرة يعني.

أنجيلا:

— وكان الجواب إيه؟

نوح:

— كانوا بينسوا السؤال، ويبسألوني هما إذا كان الجو برد
عندي.

أنجيلا:

— لما الكل ميتكلمش عن شخصين بالتحديد، ده مبيقاش اسمه
نسيان. ده اسمه اتفاق ولو ضمنى على إنهم بيخبّوا مصيبة. مفيش
تفسير غير كده يا نوح.

نوح (يضحك):

— إنتي بتشوفي محكمة في أي حنة.

أنجيلا:

— وإنت عمّال تراقب وتفحص حكومات كاملة، لكن مبتعملش كده مع بيتك.

وحين خرجت، فتح نوح تسجيل اللايف ليرى عدد التعليقات والإعجابات، فوجد تعليقاً لم يره وقت البث، في آخر القائمة.

حساب اسمه واحد_اثنين_ثلاثة:

— اسأل عن منى.

كان الحساب بلا صورة، وبلا منشورات، وبلا متابعين، وقد أنشئ قبل ثلاث ساعات.

كتب نوح تحت التعليق: «منى مين؟». وظل ينظر إلى الشاشة.
لم يأتَه رد.

ونام نوح نوماً عميقاً على كرسي مكتبه، وفي الخارج استمر
المطر.

في التاسعة صباحاً، كانت قاعة محاضرات الدراسات العليا بكلية
القانون تتسع لمئتي طالب، وفيها ثلاثون وجهاً، لأن الباقين
يؤمنون بأن التسجيل بديل عن الحضور.

كان نوح قد سأل صديقه أنجيلا عن إمكانية حضور هذه
المحاضرة ودعته للحضور.

جلس نوح في الصف الثالث إلى جوار أنجيلا. ووقفت
البروفيسورة هارتلي أمام الشاشة، وفي يدها مؤشر.

البروفيسورة هارتلي:

— شفافية، ومساءلة، وقضاء مستقل. لو واحدة فيهم غابت،
الدولة ستتأخر عن الحضارة. حد مختلف معايا أو عنده حاجة
عايز يقولها؟

ساد صمت.

البروفيسورة هارتلي:

— طيب أفكركم: الدرجة النهائية مش بياخذها إلا اللي يعترض
عليًا مرة واحدة على الأقل. واللي مش بيعترض، يا إما موافق
على كل حاجة وده غريب ولازم يكشف، يا إما مقرأش.
رفع طالب في آخر القاعة يده.

الطالب:

— حضرتك كاتبة إن القانون صدر ١٩٩٨. والصح ١٩٨٩.

البروفيسورة هارتلي:

— ممتاز! ها صححها. وخذت درجة زيادة.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

وانحنت قليلاً للطالب، كأنها تدين له بشيء.

نوح (هامساً):

— هو المفروض يتعاقب ولا يتكافى؟

أنجيلا (دون أن ترفع عينيها عن دفترها):

— يتعاقب على إيه؟

نوح:

— إنه صحّلها قدام الكل أصل ماختلفش في الرأي.

أنجيلا:

— لو سكت كان خسر الدرجة.

نوح:

— يعني بيتحاسب لو سكت؟

أنجيلا:

— في الجامعة، أيوه. وفي الحياة... بنحاول.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

في الممر بعد المحاضرة، وقف نوح يلوّح بظرف أبيض كأنه شهادة تخرج، وجون يصوّره بكاميرته.

جون:

— اقرا للكاميرا يا باشا!

نوح (يقرأ):

« — عزيزي السيد نوح، نأسف لما سببناه لك من إزعاج. تبين لمجلس التظلمات أن لافطة منع الوقوف كانت غير واضحة. وقد تم إلغاء الغرامة. مع خالص الاعتذار. »

رفع رأسه ببطء، ونظر إلى الكاميرا.

نوح:

— أنا كنت فعلاً راكن في مكان ممنوع! وهما اللي بيعتذروا!

أنجيلا:

— اللافتة كانت متكسرة. طبعي يعتذروا.

نوح:

— طيب عي إزاي؟ دول خدوا مني الفلوس، وبعدين لغوا الغرامة
من غير ما أتظلم حتى، وبعتولي جواب اعتذار!

جون:

— الموضوع لو قلته في لايف وانتشر من مصر لوحدها هيعمل
مليون مشاهدة أنا عارف ان عندكم مفيش حاجة زي كده؟

نوح:

— تدفع وبعدين تتظلم وحتى لو طلعت على حق أبقى قابلني.

فتحت أنجيلا ظرفها هي الأخرى، وأخرجت ثلاثين ورقة.

أنجيلا:

— وصل الرد على طلب المعلومات بتاع القضية.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

نوح:

— كل دي مش أوراق دي ليلة.

أنجيلا:

— رتّوا في الميعاد القانوني. وده كويس.

نوح:

— وبعدين؟

أنجيلا:

— وبعدين أطعن، وأدفع رسوم الطعن من جيبى، وأقعد على
الورق ده ليلة كاملة.

جون:

— استنوا ثانية!

صوّر جون الأوراق بهاتفه، وضغط زرّاً، وانتظروا. ثم قرأ

بصوت المذيعين:

جون:

« — تتناول الوثيقة تقرير الأداء السنوي، وتشير إلى تحسن ملحوظ بنسبة ٩٨٪ في رضا المواطنين. »

نظر ثلاثتهم إلى الورق الأسود.

نوح (بإعجاب):

— شفتوا؟ التكنولوجيا هتحل كل حاجة وبكرة بيدلونا بيها!

أنجيلا:

— أحنا اللي صنعنا التكنولوجيا واللي ها يتبدل بيها هو اللي مش ها يتطور بنفس سرعتها.

في ركن بحديقة هايد بارك المخصص للخطابة والاعتراض،
وقف رجل على صندوق خشبي يصرخ في الهواء:
الرجل:

— رئيس الوزراء ميعرفش سعر العيش! ولا سعر الحليب! ولا
يعرف يغيّر لمبة وبيحكمنا!

وعلى بعد خطوات وقف شرطي يأكل شطيرة ويتأمل البط. وعلى
صندوق مجاور، امرأة تحذّر الناس من مؤامرة الثعالب.

جون (يصوّر):

— بيشتمه باسمه الكامل! والبوليس واقف يتفرج!

نوح:

— مش بيتفرج. بياكل.

وفجأة أشار الرجل إلى نوح من فوق صندوقه.

الرجل:

— إنت! يا اللي واقف هناك! اطلع جنبي وقول اللي جواك!

نوح:

— أنا؟

أنجيلا:

— اطلع يا نوح. شكك وحش.

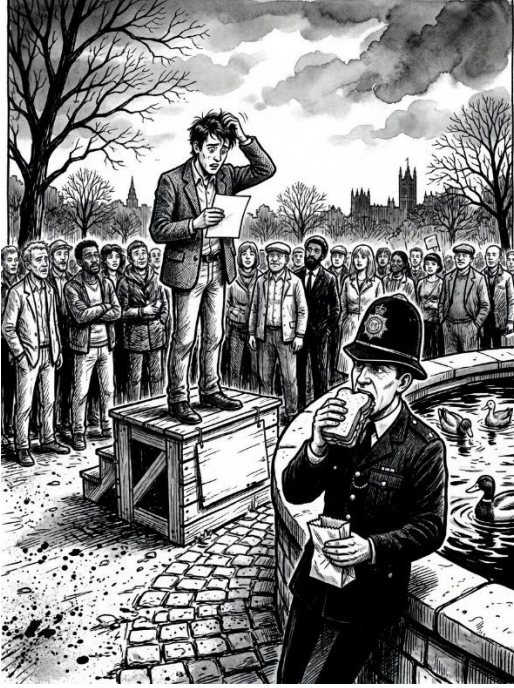
جون:

— صوّر! أقصد... اطلع، اطلع!

صعد نوح الصندوق، ونظر إلى عشرين وجهاً ينتظرون. فتح فمه. ثم نظر، دون أن يقصد، إلى الشرطي. والشرطي عضّ شطيرته.

نوح:

— أنا... ومرت عشر ثوان.



نوح:

— أنا معنديش حاجة أقولها.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

الرجل:

— مفيش مشكلة يا صديقي. خذ وقتك. الصندوق مش هيهرب.

نزل نوح، وضحك الناس ضحكة دافئة لا تؤذي أحداً، وهذا أوجعه أكثر.

في المساء رنّ هاتف نوح، فظهر على الشاشة سقف ولمبة نيون.

فاتن:

— نوح؟ يا حبيبي، إنت سامعني؟ أنا شايفة سقف.

نوح:

— ماما، اقلبي الكاميرا.

فاتن:

— إزاي؟

نوح:

— الزرار اللي عليه سهمين.

ظهر وجه فاتن قريباً جداً، عيناان وجبهة، ثم تراجع حتى استقر.
كانت ترتدي إيشار بها القديم، وخلفها مطبخ بإضاءة بيضاء قاسية.

فاتن:

— أهو. شايفاني؟

نوح:

— شايفك يا تونة. وحشتيني.

فاتن:

— وإننت أوحش. الجو برد عندك؟

نوح:

— يا تونة بتسأليني نفس السؤال من عشرين سنة! برد، بس
شغال.

ماما، شفتي اللايف؟

فاتن:

— شفته. كنت حلو. بس كنت بتتكلم كتير وبسرعة أوي، زي خالك مضبوط وهو صغير.

نوح:

— حكيت عنك في اللايف. حكيت كل حاجة حلوة.

فاتن (بعد لحظة):

— كل حاجة حلوة؟

نوح:

— أيوه.

فاتن:

— طيب... كويس.

نوح:

— ماما، أنا كنت عايز أسألك سؤال. (لحظة سكوت) فين منى؟

لم تظهر يدها في الكادر، لكن الشاشة التقطت الهزة في كتفها.

فاتن:

— منى؟

نوح:

— وعبد الرحمن.

فاتن:

— دول... في إجازة. بيتفسحوا بره.

نوح:

— إجازة؟ بقالهم قد إيه في الإجازة دي؟

فاتن:

— طويلة. إجازة طويلة يا نوح.

نوح:

— طب هاتي أرقامهم أكلمهم؟

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

فاتن:

— مفيش موبايلاات في الإجازة. انت وحش النهارده، هاقفل.
خد بالك من نفسك. والبس ثقيل.

وقبل أن يرد، تجمدت صورتها: عين نصف مغلقة، وفم نصف
مفتوح، ثم اختفت. وبقي نوح ينظر إلى وجهه في الشاشة
السوداء.

فتح نوح محادثة خاله مضبوط، أقرب الناس إليه، وكتب:

نوح (برسالة):

— مضبوط، فين منى؟

ظهرت علامة القراءة. ثم ظهرت كلمة «يكتب...» ثلاث مرات،
واختفت ثلاث مرات. وأخيراً جاء الرد:

مضبوط (برسالة):

— نام يا نوح. الوقت متأخر عندك.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

نوح (برسالة):

— الساعة تسعة.

ولم يأتِ رد. وكتب السؤال نفسه لخاله أنس، فجاءه ملصق قلب أحمر، دون كلمة.

وقبل أن ينام، اهتز الهاتف برسالة من إدارة الجامعة.

«ندوة الغد، الثالثة عصراً. المتحدث الضيف: الدكتور عبده، مستشار التنمية المستدامة للحكومة. العنوان: القيادة في البيئات الهشة. برعاية مؤسسة دور أيتام الغرب وشركائها.»

وتحت السطر الأخير شعار أزرق صغير، هو نفسه الذي يتصدر رسالة المنحة التي تدفع إيجار غرفته وأقساط جامعته.

تحت النص صورة لرجل في بدلة رمادية، يبتسم ابتسامة محترف
تدرب عليها أمام المرأة.



الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

كَبّر نوح الصورة بإصبعين حتى تحولت الابتسامة إلى مربعات.
ثم مدّ يده إلى محفظته، وأخرج صورة قديمة مطوية على نفسها

كان في الصورة: أطفال واقفون أمام بوابة حديدية، وفي الصف
الأخير شاب يبتسم.

وضع الصورة بجوار الشاشة. لم يحتج أن يقرأ الاسماء المكتوبة
بالقلم الرصاص على ظهرها.

ثم وضع الهاتف على صدره، ونظر إلى السقف. لم يكن في
السقف شيء. لكنه ظل ينظر إليه طويلاً، كمن ينتظر أن يتكلم.

الفصل الثاني

الدكتور عبدون

في الواحدة ظهراً، كان نوح يقفز على قدم واحدة في غرفته محاولاً إدخال القدم الأخرى في حذائه، وفي أذنيه سماعتان.

نوح:

— خلاص يا جون، نازل حالياً. صحيح نسيت أقولك هانعدّي على أنجيلا ناخذها معانا، عايزة تحضر الندوة دي.

جون (في السماعه):

— أنجيلا دي مبتفوتش حاجة! (يضحك) بالراحة بس ما تستعجلش، الندوة لسه بعد الظهر لسه قدامنا ساعتين.

نوح:

— لأ خلاص، أنا نازل حالياً. استناني عند العربية.

أغلق الخط، وخرج مسرعاً، وترك على الكرسي ثلاثة قمصان
جربها ثم رفضها، لمحاضر لا يعرفه.

أدار نوح محرك السيارة، وقبل أن يتحرك ضغط زراً، فملاً
صوت أم كلثوم المقاعد.

جون (يصيح مع المغنية):

— جاي لك من طنطا يا ست!

نوح:

— هي وصلت لجاي لك من طنطا؟ ده انت بقيت مصري أكثر
مني!

ضحكا، ثم استمعوا دقائق.

جون:

— إيه الأغنية دي؟ أول مرة أسمعها. مش من الأغاني المشهورة
لأم كلثوم... صح؟

نوح:

— اسمها «ولد الهدى». قصيدة في مدح سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام. وسبيني بقى أركز في الطريق.

توقفت السيارة أمام بناية قديمة، ونزلت أنجيلا بمعطفها وقهوتها،
وركبت في الخلف.

أنجيلا:

— صباح الفل.

جون:

— صباح الفل.

أنجيلا:

— والله بحب أركب معاك يا نوح عشان مبتغيّرش الأغاني
العربي، وخصوصاً الست دي.

نوح:

— الست دي!!! يا بنتي دي أم كلثوم الهرم الرابع لما بسمعها
عشان أحس إني في مصر.

جون:

— يعني لما ترجع هتبطّل تسمعها؟

نوح:

— لأ، هبطل أسمعك إنت يا خفيف.

ضحك ثلاثتهم، ثم رفعت أنجيلا هاتفها وقد شدّت الكلمات.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنجيلا:

— استنتوا لحظة. انا أول ما ركبت العربية عملت سيرش علي الأغنية دي وشوفت القصيدة كاملة دي عبقرية.

كاتبها واحد اسمه أحمد شوقي. شوفوا بيختمها بإيه: بيقول إن

الدين يسر والخلافة بيعة والحقوق قضاء

يعني الدين تيسير مش تشديد، وإن الحكم رضا من الناس، وإن الحقوق مرجعها القضاء.

جون:

— هو كان داعشي قبل ما اخترعوا داعش ولا إيه؟ هو في حد لسه بيبايع في زمننا غير دول؟

نوح:

— يا جاهل! يقصد إن الحاكم زمان الناس كانت بتحبه وبتختاره برضاها، مش قاعد كابس على نفسهم.

أنجيلا:

— وآخر حاجة هي الأهم: الحقوق قضاء. الشاعر كان شايف إن ده اللي بيعمل دولة قوية. وده اللي اتعمل فعلاً هنا في لندن، وفي كل العواصم المتقدمة.

جون:

— طب لما هما في مصر عارفين الكلام ده من سنين، ليه ما اتقدموش؟

نوح:

— عشان عارفين حاجة وبنعمل باللي عارفينه حاجة تانية.

تعرفوا فيه شيخ تنويري زمان، أسمه الشيخ محمد عبده، سافر أوروبا ورجع، وبيتنسب له إنه قال: شفت هناك إسلام من غير مسلمين، ولما رجعت لقيت مسلمين من غير إسلام.

جون:

— عبده؟ زي محاضر النهارده؟

نوح:

— ده شيخ مات من مية سنة يا جون.

أنجيلا:

— أنا عاجبني أوي كلام شوقي ده. هقرأ له كتير.

جون:

— مهاراتك في قراءة العربي اتطورت أوي.

أنجيلا:

— طب يلا يا ظريف، تقريباً وصلنا.

في ممر الجامعة، كان نوح يدندن اللحن دون كلمات، وجون يتأمل لافتة الندوة.

جون:

— اسم المحاضر ده عبده. اسم عربي. تفتكروا من أنهى بلد؟
العرب أكثر من عشرين دولة.

نوح:

— للأسف مش كلهم عندهم أساتذة يقدرُوا يدرّسوا في جامعات
أوروبا.

أنجيلا:

— ريّحوا نفسكم. مصري. وشغال مستشار التنمية المستدامة
للحكومة عندنا.

نوح:

— لما شفت صورته إمبارح بالليل حسيت إني أعرفه. مش عارف ليه.

جون:

— يا عمدة المصريين! إنت خرجت من مصر من عشرين سنة، وكنت لسه ببيي! تعرف مين بس؟

نوح:

— يا ابني بقولك حسيت. وأنا متفق معاك إني معرفش حد.

امتأ المدرج حتى السلام، فالضيف مستشار حكومات، وحضوره وكلماته مهمة للطلبة.

دخل رجل في الأربعينيات، ببدة رمادية وابتسامة مدربة، ووقف أمام الشاشة وقد كتب عليها بالخط العريض: «مهارات القيادة والتنمية المستدامة».

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

عبده:

— صباح الخير وبدأ بشرح مهارات الإدارة وقواعد الشفافية والحوكمة. وبعد مرور نصف ساعه من الشرح

عبده(متباهيا):

— زمان وأنا شاب كنت بدير مؤسسة عريقة وعلاقة وحصلت ظروف خلت كل حاجه غليت وشوفت وقتها أن مواجهة الجشع الصح تبقي بالاستغناء عارفين وقتها اتصرفت أزاى ولم يجب أي من الحضور فاستكمل حديثه

عبده:

— جمعت الجماهير وقتها وقتها عارفين حل الغلا ده إيه؟ ساد صمت. ثم قال، وهو يتأمل وجوههم:

عبده:

— قتلهم الحاجة اللي بتغلى عليكم... متشتروهاش.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

ثانية من الصمت، ثم انفجر التصفيق.

طالب (هامساً لزميله):

— ده اسمه ترشيد الاستهلاك المؤسسي!

وهمست أنجيلاً:

أنجيلاً:

— غريبة. كأن الجملة دي عدت قبل كده.

عبده:

— وعشان المؤسسة تنجح، لازم تكبر. تكبر الأول بالشغل والاجتهاد والبنية التحتية القوية يعني نرمي أساس العمارة ولما الناس تشبع وقتنا ها يتعلموا وهايعشوا برفاهية.

قفزت يد نوح إلى الهواء.

توقف عبده. تغيّر وجهه لحظة، ثم استعداد ابتسامته بسرعة.

عبده:

— أيوه. الأخ في الصف الثالث. انتفضل يا نوح.

تجمد نوح. نظرت إليه أنجيلا.

نوح:

— حضرتك تعرف اسمي؟

عبده:

— كل طلاب الجامعة بيتكلموا عن فيديوهاتك وشوفت ليك كام

بث علي الانترنت. انتفضل.

نوح:

— حضرتك قلت التعليم نشوفه بعدين. أنا شايف إن أي نمو من غير تعليم هو نمو وهمي وان الأساس الحقيقي اللي يسند العمارة هو التعليم مش أي حاجه تانية.

عبد:

— نقطة ممتازة. برافوا عليك يا نوح بس ده بيتوقف علي ثقافة الشعوب وحالتهم يعني تفكر لو دولة مش لاقية تأكل وعملت صفة كسبت منها فلوس لو انت المسئول فيها هتأخذ الفلوس دي تعلم بيها كام واحد ولا هتأكل شعبك اللي بيموت من الجوع.

نوح:

— هو يا ده ياده مينفعش الاتنين يعني؟

عبد:

— فكر أنت أنا عارف أنك مصري في مثل عندكم في مصر أسمه اللي على البر عوام.

حاول أن يضحك، فلم يضحك أحد. ثم رفعت طالبة يدها من الصف الأخير، وكانت يدها ثابتة.

سارة:

— دكتور، سؤال أخير لو سمحت. في أي مؤسسة يبقى فيه ناس عندها سلطة علي الباقي.

المؤسسة تعمل إيه عشان تحمي الطالبات من الدكاترة والمسئولين المرضي اللي بيستغلوا سلطتهم ويستغلوهم؟
أمسك عبده القلم بقوة، وانطفأت ابتسامته كمصباح.

عبده:

— ده مش موضوعنا النهارده.

قامت طالبة ثانية، ثم ثالثة.

أكثر مش سبع طالبات بشكل غير منظم:

— عايزين إجابة! عايزين إجابة!

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

ارتفع الهمس إلى هرج. جمع عبده أوراقه على عجل، وقال دون
أن ينظر إلى أحد:

عبده:

— المحاضرة خلصت. شكراً.

وخرج من باب جانبي. وبقيت على الشاشة وراءه الجملة التي
كتبها في بداية المحاضرة: «القيادة الرشيدة».

* * *

في كافيتيريا الجامعة، وضع جون أكواب القهوة على الطاولة،
وجلس.

جون:

— هو الدكتور اتعصب ليه من آخر سؤال؟ ده سؤال عادي.

أنجيلا:

— مش عادي. اللي سألت كانت عارفة هي بتسأل مين.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

جون:

— إنتي بتتهميه؟

أنجيلا:

— أنا بتفرج على راجل هرب من سؤال قدام مدرج كامل

نوح:

— ممكن يكون عنده ميعاد والندوة طولت.

أنجيلا:

— وأنا متأكدة إن معندوش غير حوادث تحرش، أو استغلال
مشوفتش شكل البنت وغضبه وهي بتسأل اكنها بتتهمه وتوتره
من السؤال وهروبه.

نوح:

— وحتى لو. فين الدليل؟

جون:

— لو كان في دليل، كان زمان البنات دي في المحكمة. مش
بيخرجوه في مدرج جامعة.

أنجيلا:

— وأنا، حتى لو مفيش دليل، مؤمنة بقاعدة: نصدّق الناجيات.

كفاية بنت تقول إنها اتعرضت لحاجة زي كده، عشان أصدقها
وأفصح أي مستغل.

سكت جون تماماً، وأخذ يحدق في قهوته.

نوح:

— لأ طبعاً. مفيش حاجة اسمها كده، وإلا بنفتح باب الاستغلال
والظلم من ناحية ثانية.

أنجيلا:

— ياسلام! طب ونعمل إيه يعني إذا كان هو ده الطريق الوحيد
اللي بيوجب حق البنت

إنت عايز تقنعني مثلا إن في مصر والدول النامية، البنت لو
راحت المحكمة هتاخذ حقها ده الطريق الصح صدقني؟

نوح:

— أحنأ في أوروبا أصلاً والدكتور والطالبات اللي بتصدقهم من
غير دليل معانا هنا في أوروبا،

وبعدين أيوه القضاء هنا هينصف الست لو معاها دليل وهتاخذ
حقها.

أنجيلا:

— لو معاها دليل. تعرف الدليل ده إيه في أغلب الحالات؟ كلمتها
قصاد كلمته. وهو دكتور، وهي طالبة محتاجة لدراساتها.

نوح:

— طب تخيلي إني بكرة قلت إنك سرقتيني، وكلامي اتصدّق.
تتفضحي وتطردي من الجامعة، من غير ما حد يسألك سؤال.

أنجيلا:

— ده غير ده مش نفس الحاجة.

نوح:

— هو بالظبط نفس الحاجة. القاعدة اللي بتظلم الراجل النهارده،
هتظلمك إنتي بكرة. لازم القاعدة تمشي على الكل.

أنجيلا:

— والبنات اللي معهاش دليل تروح فين؟

نوح:

— المؤسسة هي اللي لازم تدور على الدليل. تحقيق مستقل،
وشهود، وحماية لللي اشتكت. مش إحنا هنا على قهوة.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايبأسوش

سكتت أنجيلا لحظة، ثم ابتسمت نصف ابتسامة.

أنجيلا:

— ده كان قصدي من الأول. أصدقها يعني آخذها بجد وأفتح تحقيق. مش أحكم.

جون:

— يبقى متفقين!

وفي تلك اللحظة، فُتح باب الكافتيريا ودخل عبده. اختار طاولة، وجلس وظهره إلى الحائط.

جون (همساً):

— ده هو!

تجمد نوح. وبرقت في عينيه نظرة لم تكن فيهما قبل دقيقة.

نوح:

— أنا إحساسي عمره ما خذلني. الراجل ده وراه حاجة.

أنجيلا:

— لحظة واحدة. هو مش أنت من خمس دقائق كنت بتقول: من غير دليل لأ.

نوح:

— وانتني قولتي ده غير ده!

أنجيلا:

— غير إزاي؟

نوح:

— ده... أنا بتكلم عن حاجة أعرفها.

أنجيلا:

— وتعرفها منين؟

نوح:

— من إحساسي.

أنجيلا:

— عظيم. نضيف إحساس نوح للقانون عشان يبقى دليل إدانة.

نوح:

— يا بنتي بقول إحساسي مش بقول أنه ارتكب حاجة. لسه
هنتشوف بقي.

جون:

— بسيطة! نسأل صديقي الذكي ده شخصية عامة وسهل نلاقي
معلومات عنه.

أخرج جون هاتفه، وكتب سؤاله، ثم قرأ بصوت المذيعين:

جون:

— «الدكتور عبدون مح...»

وسكت.

رفع ثلاثتهم رؤوسهم في اللحظة نفسها، ونطقوا معاً:

نوح وأنجيلا وجون:

— عبدون.

* * *

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي ماييأسوش

وقف نوح أمام الطاولة. حول المكان طلاب من المحاضرة،
وبعضهم رفع رأسه من هاتفه.

نوح:

— عبدون.

رفع الرجل رأسه ببطء، ثم ابتسم.

عبد:

— الدكتور عبد يا نوح. عبدون ده كان اسم الدلع. الأسماء
القصيرة أسهل على الناس هنا.

نوح:

— إنت اللي هربت بفلوس الدار.

هدأت الأصوات حول الطاولة. جلس عبده مكانه، ثم تحدث بصوت يسمعه من حوله، هادئ كأنه يلقي محاضرة ثانية.



عبده:

— أنا فاهم إنك متأثر. بس خد بالك: إحنا هنا في لندن، اتهام حد بالسرقة من غير مستند اسمه تشهير. وحوالك شهود كثير.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

فتح نوح فمه، ثم أغلقه. سمع من خلفه همساً:

طالبة:

— هو ده اللي كان بيسأل في المحاضرة؟ هو بيتهم الدكتور بإيه
مسمعتش؟

عبده (بصوت منخفض، لنوح وحده):

— إنت شبه أمك قوي.

نوح (بحدة):

— ماتجيش سيرتها على لسانك.

عبده (بابتسامة، وبصوت عالٍ مرة أخرى):

— ماشي يا بني، ماشي. بس بدل ما نتخاف، أنا عندي لك
عرض.

مدّ يده إلى جيبه، وأخرج بطاقة ورقية أنيقة، وناولها لنوح:

عبدہ:

— ده كارتی. فیہ رابط اللینكدان. اعمل لی Connect. عندي مشروع یناسب شاب زیك، وتخصصك. نتعاون.

قرأ نوح البطاقة: «د. عبدہ — خبیر ادارة — مستشار تنمية مستدامة».

وبینما كان نوح یقرأ، أضاف عبدہ بنبرة ودية، كمن یسأل عن الطقس:

عبدہ:

— وبالمناسبة، مبروك مقدماً علی تجديد منحتك الشهر الجاي...
لو الأمور مشیت كویس.

نوح:

— إنت عرفت منین؟

عبده:

— الشراكات يا نوح. كلها مفتوحة علي بعض والمصلحة واحدة.

وقف عبده، وسوّى بدلته. وعند الباب نادى عليه الباريسا من
خلف الكاونتر:

الباريسا:

— قهوتك يا دكتور، زي كل يوم!

ومد له كوباً ساخناً لم يطلبه. وتقدمت طالبتان ترجوانه صورة
سيلفي، فابتسم لهما ابتسامة المحترفين.

ظل نوح واقفاً، والبطاقة بين أصابعه (وبصوت خافت):

— الراجل ده سرق أيتام. وهنا قهوته جاهزة قبل ما يطلبها.

اقتربت سارة، الطالبة التي سألت في المحاضرة، وهي تمسك
حقيبتها بكلا يديها.

سارة (بصوت منخفض):

— أنا سمعتك. لو إنت فعلاً عارف عنه حاجة... إحنا مش واحدة.
إحنا سبعة.

نوح:

— سبعة إيه؟

سارة:

— سبع بنات. ومفيش دليل. بس فيه تواريخ.

كتبت رقماً على ظهر إيصال قهوة، ووضعتة في يده، ومضت.

اقتربت أنجيلا ووقفت إلى جواره.

أنجيلا:

— الغضب مش دليل يا نوح. لو عايز تحاكمه، اساعدك ونجمع الأدلة علي جريمته ونتواصل كمان مع البنات أكيد بسماجته دي هنلاقي بلاوي.



نظر نوح إلى البطاقة طويلاً. ثم دسّها في جيبه، بدل أن يمزقها.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

الفصل الثالث

ملف قضية

في مكتب البروفيسور ساشا، بلغت الكتب السقف، ثم تجاوزته إلى الأرض، ثم احتلت الكرسي الذي يُفترض أن يجلس عليه الزائر.

أزاح ساشا، وهو رجل في الستين بشعر أبيض مبعثر، كومة ملفات عن الكرسي، وأشار إلى نوح أن يجلس. وجلست أنجيلا إلى جواره، متوترة على غير عاداتها.

ساشا:

— أنجيلا قالت إن عندك شاهد على ان الدكتور عبده عنده مخالفات قانونية تصل لحد الجرائم.

نوح:

— جريمة حقيقية وبشعة وأنا الشاهد. وأنا اللي عارف عنه كل حاجة.

مدّ ساشا ورقة بيضاء وقلماً، دون أن يرفع عينيه عن ملفه.

ساشا:

— ممتاز. اكتب لي صفحة واحدة. اللي شفته بعينك بس.

كتب نوح سطرين وشطبهما. ثم كتب سطرًا وشطبه. ثم حدّق في الورقة طويلاً.

نوح:

— أنا... اتولدت بعدها.

ساشا:

— يعني إيه؟

نوح:

— يعني كل اللي أعرفه حكايات. من ماما، وزيدان، وخالي
مضطوط، وزهرة.

ساشا:

— الحكايات مش دليل. الحكايات ممكن توصلنا نسأل مين.
وبعد ما نسأل نجيب الورق وهو اللي بيجاب.

أنجيلا:

— عندنا خمس وتلاتون جمعية خيرية بريطانية دفعت لدور
أيتام في الشرق. والتقارير بتقول إن الأيتام بياكلوا ثلاث وجبات
وبيتعلموا وعاشين كويس جدا وكل ده مش حقيقي. والفلوس كلها
بتعدي من مؤسسة وسيطة، ومستشارها...

نوح:

— الدكتور عبده.

ساشا:

— أنجيلا قالت لي إنك ابن دار اسمها دار الأمل وأدّنتني خلفية
عن اللي أنت عايز تثبته.

بس احنا محتاجين نعرف الفلوس اللي دخلت الدار فعلاً كام
واتصرفت في إيه، وحال الأطفال اللي اتجمعت عشانهم. يعني
دفاتر حقيقية ومستندات، وصور بتواريخ.

ضحك نوح رغماً عنه.

نوح:

— الدفاتر؟ خالي مضبوط عامل محاسب الدار، ومببرميش
ورقة. شايل إيصالات من أول ما بدأ يعدّ فلوس الدار، في علب
بسكويت، ومكتوب على كل علبة السنة.

وخالتي زهرة بتصوّر كل حاجة بتليفون قديم، حتى الأطباق
الفاضية. بتقول: لو حد سألنا يوم كنا بناكل إيه، يبقى عندنا إجابة.

رفع ساشا عينيه عن الملف لأول مرة. ثم وضع القلم.

ساشا:

— من سنين طويلة؟ يعني من قد إيه؟

نوح:

— من أكثر من ٢٠ تقريباً. هو في إيه؟

ساشا:

— الإيصالات اللي في علب خالك دي أهم من كل اللي حكيته
ليا من أول ما دخلت المكتب.

نوح:

— مضبوط؟ ده أكثر واحد معقّد في الدار!

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ساشا:

— وفي المحاكم، المعقّد هو اللي بيكسب.

نوح:

— بس اللي بيدير الدار دلوقتي اسمه زيدان ومش هيسمح لنا
ناخذها نجيب الدفاتر دي إزاي؟

ساشا:

— من خبرتي مع الشرق ده موضوع مش سهل. لازم حد
يعرف يدخل الدار من غير ما حد يشك فيه.
نظر نوح إلى أنجيلا، ثم إلى نفسه.

نوح:

— والقضية هتاخذ قد إيه؟

ساشا:

— سنة. يمكن اتنين.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

نوح:

— سنة؟ وهو لسه واقف بيحاضر!

وقبل أن يرد ساشا، فُتح الباب، وأطلقت سكرتيرته.

السكرتيرة:

— المحكمة على الخط يا بروفيسور.

أمسك ساشا السماعة.

ساشا:

— أيوه... وقف في الطابور؟ ... بنفسه؟ ... كويس.

وأغلق الخط، ونظر إلى نوح.

ساشا:

— أنتم عارفين الراجل اللي أنت هتدخلوا معاه معركة ده يبقى

مين؟

ده راجل بيملك نص الشارع اللي إنت ساكن فيه. تجاهل استدعاء المحكمة مرتين. النهارده جه بنفسه، ووقف في طابور الشباك زي أي حد.

ساشا:

— شوف يا نوح القضاء ممكن يبقى بطيء من وجهة نظرك. بس في الآخر الحق هيرجع أكيد.

* * *

في اليوم التالي، جلس نوح في غرفة اجتماعات زجاجة في الطابق السابع، وأمامه كوب قهوة لم يطلبه.

كانت الرسالة قد وصلتته مساء أمس بعنوان ودود: «لقاء قصير حول تجديد المنحة». وفي رأس الرسالة، وفي ذيل الأوراق التي على الطاولة، الشعار الأزرق نفسه.

دخلت السيدة ويتمور، مديرة الشراكات، بابتسامة نظيفة مثل المكان.

ويتمور:

— نوح! إحنا فخورين بيك جداً. درجاتك ممتازة.

نوح:

— شكراً.

ويتمور:

— وبنتابع نشاطك على المنصات كمان. أربعة وعشرين ألف مشاهد في آخر لايف! (تضحك).

وضعت أمامه ورقة مطبوعة: لقطة من بثه الأخير، وفيها سطر واحد مظلّل بالأصفر: «ساب الأيتام يموتوا واختفى.»

ويتمور:

— وصلتنا ملاحظة من أحد شركائنا بخصوص تصريح علني.

نوح:

— شريك مين؟

ويتمور:

— إحنا بنحترم خصوصية شركائنا.

نوح:

— خصوصية وجريمة ميغوش في جملة واحدة يا فندم.

ويتمور (بلطف):

— وعندك مستند أو دليل على اللي قولته ده؟

سكت نوح. وسمع دقات ساعة الحائط ثانية أطول من اللازم.

ويتمور:

— عظيم. أول ما يبقى عندك مستند، المؤسسة هتكون أول من
يرحب بكلامك ويدعمك كمان. ولحد وقتها بقي، بنطلب منك زي
ما بنطلب من كل طلابنا ألا يخرجوا شركاء المؤسسة.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

دفعت نحوه عقد المنحة، ووضعت إصبعها على المادة الرابعة عشرة.



نوح (يقرأ):

« — يلتزم المستفيد بعدم الإساءة إلى سمعة الشركاء، وتراجع
المنحة عند الإخلال.»

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ويتمور:

— إجراء روتيني. والتجديد بعد ثلاثين يوم.

نوح:

— أنا فاضلي أقل من سنة وأخلص الدكتوراه هو ممكن بعد كل
التعب ده ما خدش الدكتوراه؟

ويتمور:

— سنتك الأخيرة... مرتبطة بالتجديد. طبعاً.

نظر نوح إلى الورقة، ثم إلى الكوب. وتذكر أنه وقّع في خمس
سنوات على إقامة، وتأمين، وسكن، وبطاقة مكتبة، وكلها في
أسفلها الشعار الأزرق نفسه. وفهم، دفعة واحدة، أن كل ما تعلّمه
كان له طرف خيط، وأن الطرف الآخر في يد امرأة تبتسم.

ويتمور:

— خذ وقتك. وبالمناسبة، القهوة على حساب المؤسسة.

نوح (بصوت خافت):

— أنا ما طلبتهاش.

ويتمور:

— عارفة.

اهتز هاتفه برسالة آلية: «تمت إزالة بئك لمخالفته سياسة المحتوى المسيء لأشخاص حقيقيين. للاعتراض، املأ النموذج. مدة المراجعة من ثلاثة إلى خمسة أسابيع.»

ثلاثة إلى خمسة أسابيع، والمنحة بعد ثلاثين يوماً. كان أحدهم يحسب جيداً.

* * *

وفي الممر المؤدي إلى المصعد، وقفت امرأة في السبعين أمام لوحة الإعلانات، بشعر رمادي مربوط ببساطة، وعلى صدرها شارة: «المستشارة العلمية.»

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي ماييأسوش

التفتت حين مرّ نوح، ونظرت إلى وجهه طويلاً.

الدكتورة:

— أنت ابن فاتن؟

نوح (مندهشاً):

— حضرتك تعرفي ماما؟

نظرت الدكتورة إلى كاميرا صغيرة في السقف، ثم خفضت صوتها حتى صار همساً.

الدكتورة:

— كنت في اللجنة اللي زارت الدار. وكتبت تقريراً. لسه في الدرج أنا اللي قلت لفاتن انها حامل فيك.

نوح:

— تقرير إيه اللي كتبتيه؟

الدكتورة:

— مش ها ينفع نتكلم هنا هكلمك متقلّش.

ومضت قبل أن يرد.

* * *

على مقعد خشبي في حديقة خلف المبنى، جلس نوح بين أنجيلا وجون، وفي يد جون كيس بطاطس. أخرج نوح هاتفه، وطلب رقم أمه، ووضعه على مكبر الصوت.

بابا بوت:

— أهلاً بك في دار الأمل أربعة نقطة صفر. أنا بابا بوت. كيف أساعدك؟

نوح:

— إيه ده؟ أنا طالب ماما فاتن!

بابا بوت:

— هل تسأل عن الأكل.

نوح:

— لأ، أنا نوح. ابنها.

بابا بوت:

— الأكل أهم.

جون (وفمه ممتلئ):

— اسأله عن الأهرامات!

نوح:

— إيه علاقته...

جون:

— بابا بوت، تعرف الأهرامات عمرها كام سنة؟

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

بابا بوت:

— معلومة مش مفيدة هل تسأل عن الأكل.

جون (بإعجاب):

— دي أغبي إجابة سمعتها عن الأهرامات في حياتي.

أنجيلا:

— جرّب مطبوط.

نوح:

— عايز خالي مطبوط.

بابا بوت:

— هل تسأل عن الأكل.

نوح:

— وزهرة.

بابا بوت:

— هل تسأل عن الأكل.

أنجيلا:

— جملتين فقط لكل الأسئلة. اتبرمج عليهم على إيه ده؟

نوح (بصوت خافت):

— أتبرمج على خطب عبدون وزيدان.

ثم ضحك ضحكة قصيرة، وتوقف. لأنه تذكر جملة قالها في بث مباشر: «لو ذاكر من كتب فاسدة هيطلع فاسد.»

وجاءت رسالة على الهاتف، من رقم أمه: «تليفوني زيدان سحبه النهارده. هكلمك أول ما أعرف.»

قرأها ثلاثتهم، ولم يعلق أحد.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

في المساء، كانت الأمطار قد عادت إلى لندن، وكان نوح يقف تحت مظلة موقف الحافلات، وفي جيبه كارت عبده.

ظهرت الدكتورة من بين المارة، دون مظلة، وقد أغلقت معطفها حتى عنقها. وقفت إلى جواره، ونظرت إلى الطريق.

الدكتورة:

— ماقدرتش أديك حاجة جوه.

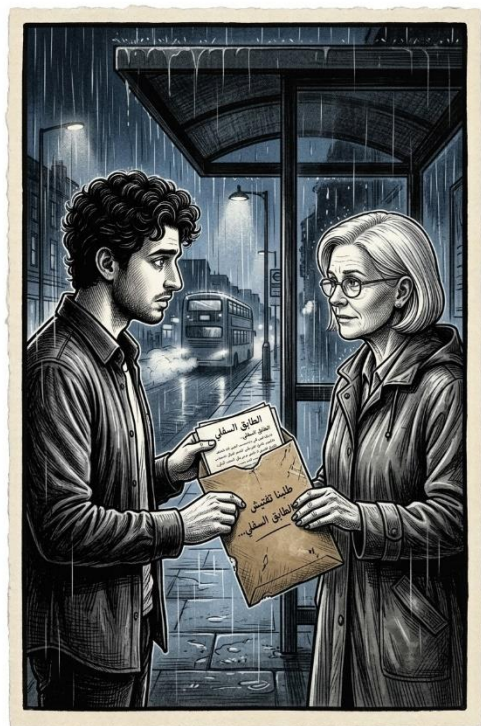
نوح:

— حضرتك ليه خايفة كده؟

الدكتورة:

— مرتبي من المؤسسة من عشرين سنة. وكل سنة أقول: السنة الجاية. والسنة الجاية بقت عشرين.

ثم أخرجت من معطفها ظرفاً بنياً سميكاً، وسلّمته إليه.



الدكتورة:

— ده نسخة الأصل لسه في الدرج. وهيفضل.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

نوح:

— وليه بتطليه دلوقتي ليه مش من زمان؟

الدكتورة:

— لأن النهارده آخر يوم ليا في المؤسسة. وعشان في بنت كانت عندها سبعناشر سنة، وقلت لها «مبروك». ومن يومها وأنا بسأل نفسي ينفع أقول لها إيه تاني.

ثم ركبت الحافلة التي وصلت للتو، ولم تلتفت.

فتح نوح الظرف تحت المظلة. على الغلاف: «تقرير لجنة الفحص الطارئ: دار الأمل ورعاية البراءة. حالات الجفاف والعدوى». قلب إلى الصفحة الأخيرة، حيث كتب بخط يد: «طلبنا تفتيش الطابق السفلي، فقبل لنا إنه مخزن. وسمعنا من خلف الباب طرقات منتظماً.»

رفع نوح رأسه إلى المطر. وكانت الحافلة قد اختفت.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم الي مابياسوش

الفصل الرابع

سر التحنيط

بعد منتصف الليل، وقف نوح في مطبخه الصغير، وفي يده كوب قهوة لا يشربه.

على الطاولة ظرفه البني سميك، لم يفتحه منذ ست ساعات.

قرأ السطر الأخير تحت مظلة الحافلة، وترك الباقي.

غسل الكوب. ثم غسله مرة ثانية.

نوح (لنفسه):

— افتح يا نوح خايف من إيه يعني ده ورق.

فتح الظرف.

تقرير لجنة الفحص الطارئ. دار الأمل ورعاية البراءة. سري.

أولاً: الحالة الصحية. العدوى شديدة الخطورة، ولم تُعالج.

وقد توقف انتشارها بفعل العزل بين الأصحاء والمصابين.

وتوفي جميع المصابين. نوصي بتوفير اللقاحات بصفة مستمرة.»

ثانياً: لاحظت اللجنة غياب الأدوية تماماً من الدار، بخلاف المدوّن لدينا من صرف أكثر من منحة أدوية ومعونات مالية للعلاج.

قلّب الصفحة بيد باردة.

ثالثاً: التقييم الإداري. أعمار الأطفال ودرجة خطورتهم حال حدوث فوضى داخل الدار.

نوصي بالاستمرار في دعم الدار بقيادة السيد زيدان حفاظاً على استقرارها، فأى انفجار فيها يمثل خطراً على المنطقة بأكملها.»

قارن التوقعات. الاسمان اللذان وقّعا بصفة «طبيين» وقّعا أيضاً تحت توصية الاستقرار، ومعهما ثلاثة أسماء بلا ألقاب.

نوح (بصوت خافت):

— لجنة طبية... فيها أعضاء مش دكاترة ليه!

رابعاً: تؤكد اللجنة وجود أطفال آخرين في الطابق السفلي، يبدو أنهم غير راضين عن إدارة السيد زيدان.

وقد تخلص الأخير منهم في البدروم، وأنكر وجودهم، ومنعنا من النزول.

وبسؤال الأطفال تأكد لنا وقوع أكثر من جريمة قتل داخل الدار. نوصي بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق.

بدأ العرق يسيل على رقبتة.

وفي ختام الفحص، عثرنا على طفلة دون السن القانونية للزواج، عمرها سبعة عشر عاماً، تُدعى فاتن، وفي أحشائها جنين.

وبسؤال الأطفال تبين أنها رُوجت قهراً من المدير السابق للدار السيد/ إبراهيم البناء، وعمره أربعة وسبعون عاماً.

ونرجح أن ذلك تم بعلم السيد/ زيدان، إذ أنه كان الشاهد الوحيد على هذا الزواج.

قرأها مرة. ثم مرة. ثم مرة.

نوح:

— سبعتاشر...



سقط الكوب ولم ينظر إليه. جذب ياقة قميصه كأنها تخفئه، وفتح
النافذة، فدخل المطر.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم الي مايبأسوش

نوح (لا يسمع صوته):

— أنا ابن ده؟

أمسك هاتفه بيد ترتجف، وضغط الرقم.

نوح:

— أنجيلا... تعالي حالياً. لازم تشوفي حاجة مهمة.

وصلت أنجيلا بعد عشرين دقيقة، بشعر مبتل، وجلست أمام نوح.

أنجيلا:

— إيه يا حبيبي طمني فيه إيه.

نوح دون أن يرد بكلمة واحدة أشار للتقرير على الترابيزة.

فتحت أنجيلا التقرير وقرأت ببطء، صفحة بعد صفحة، وكان نوح يدور في المطبخ كأنه في قفص، يجمع قطع الكوب المكسور ويسقطها ثانية.

ثم وضعت أنجيلا الأوراق.

أنجيلا:

— دي مش دار. ده معتقل.

نوح:

— لأ مش معتقل يا صديقتي المعتقل على الأقل عليه رقابة. الدار دي محدش بيراقبها.

سكت لحظة.

نوح:

— عبدون مش المجرم الوحيد. زيدان مجرم أكبر.

أنجيلا:

— زيدان بيحكم من أكثر من عشرين سنة. يعني أكيد في أدلة
كثير على فسادة.

ولو كنا وصلنا بالسرعة دي للورق ده وقدرنا نعرف أول طريق
إدانة عبدون اللي حكم الدار سنة واحدة، يبقى نقدر نوصل لأدلة
على زيدان أسرع.

نوح:

— بتحلمي. إنتي هنا في لندن: بدليل صغير ندين عبدون واللي
بيمولوه، حتى لو رئيس الوزراء نفسه.

لكن زيدان في مصر. ولو معاكي مليون دليل، مش سهل تاخدي
حقاك.

ده غير إنني مختلف معاكي ومش شايف طول سنين الحكم دي
تخلي المهمة أسهل بالعكس أصعب عشان خلاص اتعلم إزاي
يخبى جريمه وبقي مسيطر على كل حاجة.

أنجيلا:

— ممكن بس مش ملاحظ حاجة؟

نوح:

— إيه؟

أنجيلا:

— دار، وحكم، وسياسة، وعدوى، وقتل، وسجون، وتمويلات.

مش شايف إن الكلام ده ميطلعش من أطفال؟

نوح:

— يعني إيه؟

أنجيلا:

— يعني أكيد في مجرمين أكبر من زيدان وعبدون. والكبار دول

هما اللي بيحركوا كل حاجة.

نوح:

— عندك حق. بس نوصل للكبار دول إزاي؟

أنجيلا:

— لو موجودين فعلاً، عمرنا ما هنوصل لمعلومة عنهم إلا وإحنا على الأرض هناك.

أنجيلا (تسكت لحظة):

وعندي سؤال كمان ليك أنت يا نوح لو لقيت بابا إبراهيم وسط
المجرمين اللي بنتكلم عنهم، هتتصرف إزاي؟
ضحك نوح ضحكة قصيرة بلا فرح.

نوح:

— ده مجرم مختلف عن أي حد من اللي كانوا عيال صغيرة.
ده راجل عجوز، بيدوفيل، اتجوز طفلة وهرب.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ثم سكت. وعدّ على أصابعه.

نوح:

— عمره ٧٤ سنة وقت كتابة التقرير. من خمسة وعشرين سنة.

يعني لو عايش دلوقتي...

أنجيلا:

— تسعة وتسعين.

نوح:

— حظه. زمانه مات.

قامت أنجيلا، وصنعت قهوة جديدة، ووضعتها بين يديه.

أنجيلا:

— اشرب. دي مش على حساب أي مؤسسة.

شرب نوح رشفة.

نوح:

— لازم ننزل مصر.

أنجيلا:

— هننزل.

* * *

في كافيتيريا الجامعة، كان جون يأكل شطيرة بيد، ويمسك
بالأخرى هاتفه وعليه صفحة حجز الطيران.

لم يضغط الزر بعد.

جون:

— قبل ما أحجز، حد يفهمني.

وضع نوح وأنجيلا أمامه ورقة فيها ملخص: دار، وبدروم،
وتقرير، وعبدون، وزيدان. قرأها جون وهو يمضغ ببطء.

جون:

— إيه الفضايح اللي في التقرير ده. بس ممكن أسأل سؤال؟

نوح:

— اتفضل.

جون:

— إنتوا مش بتقولوا إن عبدون وزيدان أعداء؟

نوح:

— أيوه.

جون:

— وبتقولوا إن زيدان بيحكم من عشرين سنة؟

أنجيلا:

— أيوه.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

جون:

— وإنتوا مش بتقولوا إن كل الفلوس اللي بتروح للدار من عندنا
في أوروبا بتروح من خلال مستشارهم عبدون؟

تجمد الاثنان.

أنجيلا:

— إيه ده ازاي مخدناش بالناس من التفصيلة دي... عبدون وزيدان
بيساعدوا بعض!!!؟ إزاي؟ أنا توهت. أنا مبقتش فاهمة حاجة.

نوح:

— في حاجة ناقصة. الحلقات دي مش واصله بيعض. في
عناصر ومعلومات كتير ناقصة بشأن اللوحة تكمل.

جون:

— طيب يا برو، يلا بينا على مصر. إنتوا تكملوا اللوحة، وأنا
أروح أشوف الأهرامات.

ضحكوا رغماً عنهم.

أنجيلا:

— إحنا في إيه ولا في إيه؟ بس يا جون، خرينا في المهم: سر الدار.

جون:

— أنا بالنسبة لي سر التحنيط أهم.

أنجيلا:

— سر التحنيط وصلوا له من زمان. إحنا اللي لسه موصلناش لسر الدار.

* * *

في غرفة نوح، وقف ثلاثتهم أمام شاشة الحاسوب، وفي أعلاها نافذة صغيرة: «دار الأمل ٤.٠ — اتصال آمن».

ظهر زيدان في مكتب فخم، وخلفه جدار زجاجي تصطف وراءه
سيارات سوداء تلمع وبجورهم عربية نصف نقل وشاحنتين كبار.
وفي أسفل الصورة سطر شفاف: «تم تحسين صورتك».

زيدان:

— نوووح! يا حبيبي! (يفتح ذراعيه للكاميرا) وحشتني يا واد،
كبرت!

نوح (يبتسم بصعوبة):

— وحشتني يا بابا.

زيدان:

— الدار كلها بتسلّم عليك. (يلتفت) سلّموا على نوح يا أولاد!

ظهر خلفه صف من الأطفال بزي أزرق موحد، ولوّحوا جميعاً
في اللحظة نفسها، بالإيقاع نفسه.

الأطفال (بصوت واحد):

— وحشتنا يا نوح!

دمعت عينا نوح، ولم يعرف لمن. وهمس جون لأنجيلا:

جون:

— هما عملوا بروفة على المكالمة دي قبل ماتصلوا؟

أنجيلا:

— ده طابور إذاعة العيال متبرمجة.

تحركت الكاميرا مع زيدان وهو يتمشى في المكتب، وتتبعته تلقائياً.

وعلى حافة الصورة ظهرت فاتن، نصف وجه ويد تلوح، ثم قصّتها الكاميرا، ثم عادت.

فاتن (من بعيد):

— نوح! يا حبيبي! أنا هنا!

نوح:

— ماما!

زيدان (دون أن يلتفت):

— فاتن مبسوبة أوي بيبك. صح يا فاتن؟

فاتن:

— أوي أوي.

نوح:

— بابا، أنا ناوي أنزل مصر الأسبوع الجاي.

توقفت ابتسامة زيدان ثانية واحدة. ثم عادت، أوسع.

زيدان:

— الأسبوع الجاي؟ بجد؟ ده الدار دارك.

نوح:

— وجاي معايا اتنين من صحابي، جون وأنجيلا. جون عايز يشوف الأهرامات.

زيدان:

— الأهرامات! باقة الضيافة VIP للصحاب، ويا عم عشان خاطرك مجاني.

نوح:

— ليه؟ هو في إقامات بفلوس؟ هي الدار بقت فندق؟

زيدان:

— لأ، بس في الظروف اللي زي دي بيبقى في رسوم رمزية بتتاخد بإيصال تبرع.

مهو الدار لازم تكبر يا نوح، عشان الفوائد تعود على الكل. ولا
إنت إيه رأيك؟

لم يرد نوح.

نظرت أنجيلا إلى نوح، وحركت شفتيها دون صوت: «عبد».
زيدان:

— صحيح يا حبيبي، سمعت إنك بتسأل عن منى وعبد الرحمن.
تجمد نوح.

زيدان:

— دول في إجازة يا حبيبي. إجازة طويلة، بس يستاهلوها. لما
تيجي نحكي كل حاجة. الصبر حلو.

نوح:

— إجازة فين؟

زيدان:

— بره. يلا يا حبيبي، سلام.

وانقطع الاتصال.

جلسوا ثلاثتهم في صمت. ثم مدّت أنجيلا يدها إلى الحاسوب، وأعدت التسجيل إلى آخر دقيقة، دون كلمة. ثم أعادته مرة ثانية. ثم توقفت عند لقطة فائن.

كانت يداها ترتفعان بالتلويح، وكانتا ترتجفان، ارتجافاً لا تفسره عاطفة ولا برد.

نوح:

— دي بتسلّم.

أنجيلا:

— أنا ما قلتش حاجة.

نوح:

— ولا تقولي.

وضعت أنجيلا يدها على فمها، وانتظرت. وبعد ثانية رنّ هاتف جون.

جون:

— أنا حجزت.

نوح:

— حجزت إيه؟

جون:

— ثلاث تذاكر. الخميس الجاي. قبل ما الأسعار تغلى. والحجز مش بيرجع فلوس، يعني مسافرين مسافرين هاهاها.

نوح (بسخرية):

— ومين قالك إنك جاي معايا؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

جون:

— إنتوا اللي جايين معايا. دي الأهرامات يا عم.

أنجيلا:

— ياسلام. وهو جون ينفع ميحيش؟ ده ناقص تقول إنني أنا كمان
مش هاجي معاك.

جون:

— ميقدرش يا بنتي يروح من غير صاحبه اللي هيفسحه
والمحامية بتاعته.

نوح:

— الخميس صعب. إنتوا ناسيين المنحة؟ هتتجدد بعد أربعة
وعشرين يوم.

جون:

— والرحلة عشرة أيام، وراجعين. مترخمش بقي.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنجيلا:

— ولو اتأخرنا شوية، الدنيا مش هتطير. هنقول زيارة عائلية.

نوح:

— أنا خايف حاجة تبوظ. إنتي عارفة بيتلكوا بسبب زفت
عبدون.

أنجيلا:

— يتلكوا براحتهم. هنا في حاجة اسمها قانون.

* * *

عند الفجر، توقفت شاحنة أمام بوابة الدار. ثم أخرى. ثم ثالثة
ورابعة، وبعيداً خامسة تسعل في آخر الطريق.

وحول السور، على مد البصر، صفوف شجر صغير مصطفة
كالطابور. وفي الداخل أرض مزروعة، وأطفال بزي أزرق
موحد يصطفون في ساحة واسعة كانت ذات يوم تراباً.

مكبر الصوت:

— صباح الخير يا أولاد. بابا زيدان بيبحبكم.

الأطفال (بصوت واحد):

— وإحنا بنحبه.

عاصم قائد الحرس (من خلفهما):

— قلتوا صباح الخير لبابا خلاص يلا على الشغل.

وعلى الأسوار وقف رجال بسترات سوداء وعصي، عشرات،
وعيونهم على الأطفال لا على الطريق.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

على باب البدروم، كانت لافتة معدنية كبيرة: «مركز الإصلاح والتأهيل» وتحتها عاملان.

العامل الأول:

— صحيح هي الياقطة دي كدة صح المفروض بالهمزة ولا من غير؟

العامل الثاني:

— ياعم إحنا مالنا هو إحنا ها صنعها من جديد نضف وخلص بدل ما عاصم ينزلنا نفكر في موضوع الهمزة ده تحت. وبعدين الزوار الأجانب اللي جاين مع نوح هيقروها بالإنجليزي.

العامل الأول:

— طيب تفكر حلوة الياقطة الجديدة اللي بيعملوها بالإنجليزي؟

العامل الثاني:

— تحفة وشكلها أحلى من العربي واضح انه الإنجليزي ده لغة سهلة تخيل كلمه طويلة بالعربي زي (مركز الإصلاح والتأهيل) ترجمتها بالإنجليزي كلمة واحدة بس Welcome.

نزل حارس السلم حاملاً ثلاث صواني، ووقف عند ثلاثة أبواب
كُتب على الأول بالطباشير «النساء»، وعلى الثاني «الرجال»،
وعلى الثالث لا شيء لكن مكتوب بخط باهت وقديم «سجن اللي
عاملين يعرفوا ربنا»..

الحارس (لمساعدته):

— الصينية الأولى لمني والنسوان. الثانية رجاله والثالثة للزنزانه
دي (وأشار للزنزانه أمامه).

حارس آخر:

— هو أشمعي الزنزانة دي أكلها قليل ووحش رغم أن عدد اللي
محبوسين فيها مش قليل؟

الحارس:

— عبد الرحمن وزمائله عاملين بتوع ربنا. وأكد ربنا ها
يباركلهم في القليل ده ملكش دعوة أنت.

ضحكا. ومن خلف الباب الأول جاءت ثلاث طرقات، ثم صمت.
ومن خلف الثاني جاءت ثلاث مثلها.

الحارس الآخر:

— دول بيكلمو بعض.

الحارس:

— سيبيهم. ده الراديو بتاعهم.

وفي غرفة البابا، رنّ الهاتف.

زيدان:

— ألو.

شيخون (بصوت رجل في الستين، هادئ):

— مساء الخير يا زوز. إيه نوح جاي مصر، ومعه صاحبه.

زيدان:

— عارف يا عمنا لسه قافل معه كنا ناقصينه هو أما يجيب معه صاحبه.

شيخون:

— أنجيلا وجون دول لطاف أوي.

سكت زيدان لحظة. ثم ضحك.

زيدان:

— ايوة كده. هو ده شيخون اللي أعرفه.

زيدان:

— أنا مش هاسألك عرفت أزاي انه جي بس قولي والنبي،
عرفت أسماء صحابه منين؟

أنا عارف إنك متابع كل حاجة كويس، ورجالتك ورجالة
أصدقائك في كل حته. بس مش لدرجة صحابه في الجامعة!

شيخون (لم يلتفت لسؤاله):

— متقلقش من حاجه يا زيدان. عشرة أيام ويمشوا. كله تحت
السيطرة. يجوا ينوروا.

زيدان:

— طب قولي بقي عرفت منين صحابه؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

شيخون:

— سلام يا بابا.

وأغلق.

زيدان (يحدّق في السّماعَة):

— مجاوبش.

ثم أمسك هاتفه الذكي، وفتح لعبة ببجي. وظهر اسم سعداوي إلى جانب اسمه.

سعداوي:

— هننزل بوشنكي غطيني. أنا نازل علي المبنى نقتل العيال
اللي نازلين معنا ونلم اللوت براحتنا.

زيدان:

— محدش نزل معنا لم براحتك

زيدان (بثقة ليستدرج سعداوي):

صحيح بقولك إيه يا سعداوي، ابن فاتن جاي مصر ومعاه أنجيلا
وجون فاكرهم.

تفتكر العيال دي جاية فسحة بس ولا هيعملوا قلق عندي؟

سعداوي (يضحك):

— يا عم الكلام ده يخوّف عبدون هناك في أوروبا.

البلاغ اللي حاولوا يقدموه هناك، لو اتقدم للقضاء يبقى خطر عليه
بجد لكن دول عايزين تمويل زيهم زي زيدان عشان كده راحوا
المكان اللي اديهم فلوس ومنح هو انت جديد يعني ما انت عارف
اللعبة.

توقفت يد زيدان عن اللعب.

زيدان:

— بلاغ؟

سعداوي:

— بس عندك؟ يقدّموا ميت بلاغ، ولا ليه لازمة. إنت مالك واقف ليه؟ اضرب! في واحد وراك!
وعلى هاتف سعداوي ظهرت انقطع الاتصال لدي زميلك.

كان قد أغلق زيدان اللعبة، وأمسك ورقة وقلماً.

رسم دائرة وكتب فيها «عبدون». ودائرة ثانية: «ابن فاتن». وثالثة: «أنا». ثم رسم خطأ من الأولى إلى الثالثة، وخطاً من الثانية إلى الثالثة، وشخبط فوق الورقة كلها.

زيدان (لنفسه):

— طالما وصلوا لعبدون، يبقى هيوصلولي لحاجات ماير. الله
يخرب بيتك يا عبدون يا غبي، هتودينا كلنا في داهية.

* * *

قبل الرحلة بليلة، وقف عبده تحت مظلة سوداء أمام بناية نوح،
وفي يده علبة مغلفة بشريط حرير. وعلى جبينه، رغم البرد،
لمعان عرق.

عبده (بمجرد ظهور نوح):

— نوح! قلققت عليك. سمعت إنك مسافر.

نوح:

— إنت عرفت منين؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

عبده:

— هي دي حاجه صعبه علي خالك يا نونو.
وقفت أنجيلا خلف نوح، وذراعاها متشابكتان.

عبده:

—دي هدية لفاتن قولها من صديق قديم.

نوح:

— صديق مين؟

عبده (بيبتسم):

— هي هتعرف.

نوح:

— ماما مبتقبلش هدايا من ناس مبتعرفهمش.

عبده:

— ومتنساش تسلّم لي على زيدان.

نوح:

— إنت بتحب بابا زيدان رغم أنك أكثر واحد تعرف..

عبده (يقاطعه):

— طبعا هو انا بس كلنا نعرفه ده شخصية محترمة جداً.

أنجيلا:

— حضرتك قلت «سلّم لي عليه». ده أنتوا صحاب بقي لحد دلوقتي.

عبده:

— ده مجرد أدب.

أنجيلا (ترفع هاتفها، وعليه نقطة حمراء):

— وأنا بحب الأدب. خصوصاً لما يتسجّل.

اختفت ابتسامة عبده كأنها لم تكن. استدار، وذهب تحت المطر، وترك العلبة على الأرض أمام نوح.

نظر نوح إليها طويلاً، ثم دخل وأغلق الباب، وتركها في المطر.

* * *

في السماء فوق البحر المتوسط، كانت أنجيلا قد وضعت منديلاً ورقياً على صينية الطعام، وأمسكت قلماً.

أنجيلا:

— ارسم لي الدار. كده يا نوح.

أخذ نوح القلم، ورسم دائرة في المنتصف.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

نوح:

— ده زيدان. بابا.

أنجيلا:

— وده؟

نوح:

— ده سعيد. بابا برضه، بس مش زي بابا زيدان.

أنجيلا:

— طيب.

نوح:

— ده عاصم، عمي. أخو ماما... مش أخوها بالدم، أخوها بالدار.

أنجيلا:

— طيب.

نوح:

— ماما فائن. وأنس خالي، وهو أصغر من ماما. ومضطرب
خالي، وهو برضه أصغر من ماما، بس أكبر من أنس. وزهرة
خالتي...

أنجيلا:

— استنى.

نوح:

— إيه؟

أنجيلا:

— إنت عندك كام شخص بتقوله بابا؟

نوح (يعدّ على أصابعه):

— زيدان، وسعيد... وبابا إبراهيم. جوز تونة، وأبويا البيولوجي
بابا اللي بجد الله يرحمه بقي.

رسم دائرة لإبراهيم، ثم شخبط فوقها بقوة حتى كاد القلم يخرق
المنديل.

أنجيلا:

— شطبتة.

نوح:

— ده أب بيولوجي بس لكن معرفوش ولا عايز اعرف حاجه
عنه.

أنجيلا:

— وكام خال؟

نوح:

— ...مش عارف. بيزيدوا كل يوم.

أنجيلا:

— إنت أول إنسان في التاريخ ينتمي لعشرين بابا.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

نوح:

— البابا في مصر وظيفة مش صلة قرابة.

أنجيلا:

— في مصر ولا في دار الأمل؟

نوح:

— مصر ودار الأمل واحد.

جون (من المقعد المجاور، وفمه ممتلئ):

— أنا حابب شجرة العيلة دي. دي مش شجرة، دي غابة.

نظرت أنجيلا إلى المنديل، وقد امتلأ بالدوائر والأسهم والخطوط المتقاطعة، وبدأت تضغط بيدها على جبينها.

أنجيلا:

— أنا... أنا محتاجة...

جون (مقاطعاً):

— تنامي



مالت أنجيلا إلى الخلف، وأغمضت عينيها.

أنجيلا:

— لما ننزل... اشرح ثاني لي بأقلام ألوان. ونامت.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

بقي نوح ينظر إلى المندبل. ثم لاحظ أن في أسفله دائرتين صغيرتين، رسمهما دون أن ينتبه: واحدة كتب فيها «منى»، وأخرى «عبد الرحمن». لم يخرج منهما خط واحد، ولم يصل إليهما خط من أحد.

لم يعرف أين يضعهما.

اهتز الهاتف. كانت الطائرة قد وصلت إلى منطقة تغطية الواي فاي.

رساله على الإنترنت من الحساب صاحب اسم:

واحد_اثنين_ثلاثة:

— لا تصدّق من يقول لك إنهم في إجازة.

الفصل الخامس

بابا بوت

ترجل نوح ورفاقه من طائرتهم الفاخرة، فاستقبلتهم لافتة كبيرة
كُتِبَ عليها بخط عريض: «ادخلوها بسلام آمين». مرّوا من
أمامها دون اهتمام، وتوجهوا نحو ميكروباص كان جون قد حجزه
من إحدى شركات السياحة.

على الطريق الصحراوي، ظل الميكروباص الأبيض يلتهم
الأسفلت ثلاث ساعات، ونوح ملتصق بالنافذة لا يتكلم.

جون (يصوّر الرمال):

— أنا حاسس إنني في فيلم وثائقي كل دي صحرا. طب فين الأسد
اللي بيجري ورا الغزالة؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنجيلا:

— هو هنا فيه أسود؟

نوح(محبطاً):

— هنا فيه كل حاجة إلا الأسود.

قُطع طريق طويل يخترق الصحراء حته ظهرت لافتة عملاقة.

كانت لافتة إلكترونية بحجم عمارة، تومض بحروف زرقاء:

«دار الأمل ٤.٠ — حيث يبدأ الغد».

وتحتها شاشة صغيرة تظهر عليها التوقيت ودرجة الحرارة.

نوح (بصوت مخنوق):

— لما مشيت من هنا كان عندنا ساعة واقفة على الرابعة وربع.

محدث كان بيحسب حاجة.

مرّت أعمدة الإنارة، وعلى كل عمود كاميرا، وتحت كل كاميرا
لوحة صغيرة: «ابتسم... الدار تراك».

أنجيلا (تعدّ بعينيها):

— أربع وعشرون كاميرا في أقل من كيلومتر واحد. في مكان
مفيهوش حاجة تتسرق صحرا بس حرفيا.

نوح:

— صدقيني الصحرا دي فيها حاجات كتير. بس مش اللي إنتي
متخيلاها.

نوح (بالإنجليزية، هامساً):

— من هنا ورايح، إنتوا مش بتفهموا عربي.

أنجيلا (بالإنجليزية):

— أنا؟ أنا مش بفهم عربي؟ ده ممكن.

جون (بالإنجليزية):

— أنا هعمل وش الأجانب. كنت بتمرن عليه في المطار

عند البوابة توقف الميكروباص. تلك البوابة الحديدية التي كانت
تئنّ عند كل فتح صارت ضلفتين من زجاج معتم تنزلقان بلا
صوت.

وفوقها عين سوداء استدارت نحو الزجاج الأمامي، وقالت
بصوت دافئ مصنوع:

بابا بوت:

— أهلاً بكم في دار الأمل أربعة نقطة صفر.

جون (بانبهار):

— الصوت ده اللي كلمناه في التليفون!

نوح:

— هو. عمري ما هنسى صوته.

داخل السور، صار التراب حجراً رمادياً مفروشاً بعناية.

وعلى اليمين، تحت مظلة من الشباك السوداء، وقفت سيارات:
سوداء، وسوداء، وبيضاء بحجم غرفة، وأخرى ذهبية وعربية
نصف نقل وشاحنات.

عدّ جون حتى العربية، ثم توقف احتراماً.

جون:

— دول أكثر من عربيات السفارات!

أنجيلا:

— وفين الأتوبيس اللي بيتحمل بالنفر؟

نوح:

— أتوبيس إيه؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنجيلا:

— حاجة صفراء كبيرة كدة بتشيل أطفال أصل انا واحنا في الطريق من المطار لهننا دخلت لفيت لفة عالنت وشوفته في خبر كان منشور عن الدار في مجلة شكلها صفرا كده نفس لونه.

بحث نوح في الصف اللامع عن أي لون أصفر. لم يجد.

ثم رأى الأطفال.

في الساحة الواسعة، حيث كان ذات يوم تراب ومورجيجة مكسورة، وقفوا في صفوف.

زي أزرق موحد، رؤوس حلقة، أحذية متطابقة، من طفل بحجم الركبة إلى مراهق بحجم الباب. صفوف تمتد حتى السور ثم تلتف حول المبنى.

عدت أنجيلا ثلاثة صفوف، ثم توقفت.

أنجيلا (همساً):

— نوح... كام يتيم في الدار؟

لم يرد نوح.

جون (بصوت منخفض لأول مره في حياته):

— دول مش دار. دول مدرسة كاملة.

نوح:

— دي مش شبه المدارس أعتقد أقرب للمعسكرات.

اقترب نوح ورفاقه، فارتفع من مكبر الصوت عزف نحاسي

هزيل. وانفتح بابان زجاجيان، وخرج زيدان.

قميص مكوي وبنطال مرفوع حتي نصف بطنه، وساعة ذهبية،
ونظارة شمس يرفعها إلى جبينه كأنه يكشف عن عيني لا يخفيان
شيئاً. وفي يده هاتف ذكي، وميداليات مفاتيح.

زيدان:

— نوووووح! يا حبيبي! يا ابني! (يفتح ذراعيه ويضمه) الدار
نورت!

كان عطره قوياً، وعناقه طويلاً بما يكفي ليراه الجميع.

نوح (من داخل العناق):

— وحشتني يا بابا.

زيدان:

— وإنّ أكثر! (ينظر إلى أنجيلا وجون) وأنّ أكيد جون مجنون
الأهرامات، وإنّتي الجميلة أنجيلا اللي سمعنا عنها كثير.

أنجيلا (بابتسامة إنجليزية محايدة):

— سمعتم عني؟! من مين؟

زيدان (دون أن تهتز ابتسامته):

— من نوح طبعاً! ما بيبطلش يحكي عنكم في اللايف.

نوح:

— حضرتك بتتابع اللايف؟

زيدان:

— يا راجل ده أنا أول مشترك في القناة وعامل لايك على كل

فيديوهاتك. فخور ببيك والله يا نوح.

رفع زيدان يده، فانفجر الأطفال في صوت واحد، بالإيقاع نفسه،

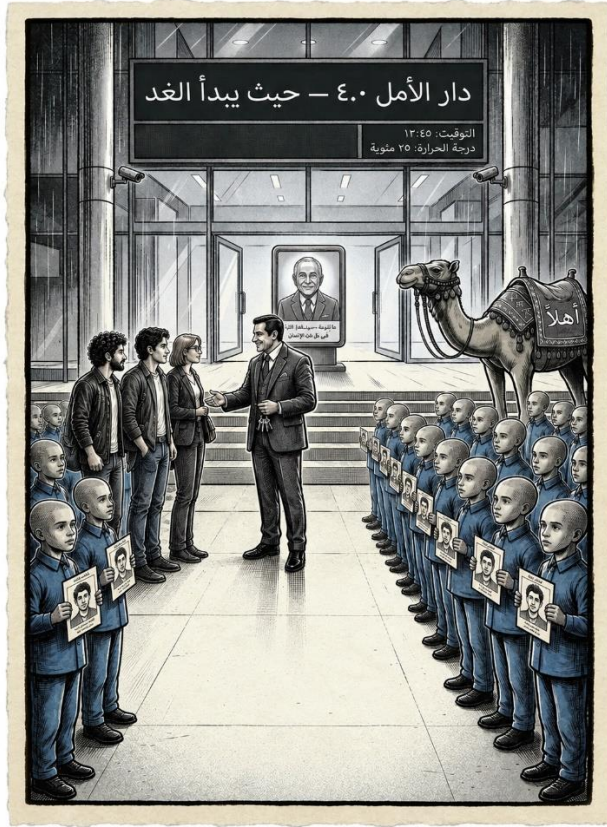
بلا نشاز واحد:

الأطفال:

— وحشتنا يا نوح!

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وفي اللحظة نفسها رفع كل طفل ورقة مطبوعة بحجم الكف.



نظر نوح، فرأى وجهه. ستمائة وجه لنوح، مأخوذ من لقطة واحدة في اللايف، وهو يضحك ويرفع يديه مستسلماً.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

جون (لأنجيلا، بإعجاب مرعوب):

— أعتقد في حاجه غلط هو احنا في عالم حقيقي ولا أحنا في
ميتافيرس ولا إيه.

أنجيلا:

— عندي نفس احساسك يا جون واضح ان مهمتنا هنا مش هتبقى
سهلة خالص.

جون(ضاحكا):

— مهمة مين حضرتك أنا مش معاكم أنا جي للأهرامات وبس.

على بعد خمسة أمتار، ربطوا جملاً مزيناً بالأعلام وتاج صغير
من لمبات الليد، وعلى ظهره لافتة: «أهلاً بالضيوف».

وعلى طرف الصف، وقف رجل ضخم في سترة سوداء، ظهره
مشدود كأنه مسطرة، وعصاه معلقة في حزامه.

أنه عاصم، قائد الحرس. كانت عيناه ترصدان الأطفال، لا
الضيوف، ثم تحركتا فجأة إلى يمينه... وتجمدتا.

زيدان:

— وده عاصم، الدنيا كلها هنا بتخاف منه، إلا الجمل.

عاصم (همساً، دون أن يفتح عينيه):

— هو الجمل بيبصلي ليه.

زيدان:

— بيبص على الضيوف يا عاصم.

عطس الجمل، فقفز عاصم متراً، وانفجر الأطفال بالضحك.
ضحكوا معاً، وتوقفوا معاً، في اللحظة نفسها.

جون (بالإنجليزية، هامساً):

— هما بيضحكوا بالمترونوم.

زيدان (بالإنجليزية، مفاخراً):

!Welcome! Camel! Very traditional —

جون:

— جمل! أنا عايز أركب!

نوح (بصوت خافت وبالعربية):

— اتفضل، ياعم السايح.

ضغط الجمل شفتيه وأدار رأسه ببطء نحو الصف الأمامي. نحو
رجل بعينه.

عاصم (بصوت ضيق، دون أن يحرك فمه):

— ما حدث يخليه يبص عليا.

زيدان (يهمس):

— متفضحنيش يا عاصم، قدام الضيوف.

تراجع عاصم خطوتين وراء الأطفال، ثم ثلاثاً، حتى صار قائد الأمن مختبئاً خلف صف من أبناء الثامنة.

وقف زيدان فوق منصة صغيرة، ووقف الميكروفون بين يديه كأنه خُلق له.

زيدان:

— أبنائي وبناتي! النهاردة يوم تاريخي. ابن الدار ودلوعتها، آخر العنقود، رجع لنا من أوروبا بعد عشرين سنة، ومعه العلم والحوكمة والشراقات!

وإحنا في دار الأمل مستعدون لاستقباله بأحدث ما وصلت إليه
التكنولوجيا!

صقّ الأطفال، دفعة واحدة، ثم توقفوا دفعة واحدة.

زيدان:

— وعشان نوح يعرف احنا وصلنا لإيه، أقدم لكم... مساعدنا
الذكي الجديد... بابا بوت!

سُحب ستار أزرق عن كشك عريض بشاشة كبيرة، وعلى الشاشة
وجه رجل عجوز طيب الملامح، يرتدي بدلة كحلية قديمة وابتسم
بدفء لا ينتهي.

وفي ركن الشاشة، بخط صغير شفاف: «تم تحسين صورتك».

نوح (لنفسه):

— ده شكل البابا الأول اللي اختفى بس بعد التجميل.



الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

زیدان:

— اتفضل يا نوح، اسأله أي سؤال! ده متدرب على كل اللي تتخيله واللي متتخيلهوش وفي كل المجالات ده غير أنه خبير في تاريخ الدار!

وخلي أصدقائك يسألوه ده خبير في تاريخ الدار!

تقدّم نوح خطوتين، ونظر إلى أنجيلا. وأومأت له بعينيها: اسأل سؤال قانونياً.

نوح:

— طيب نجرب. يا بابا بوت... إيه هي حقوق الطفل؟

أضاءت الشاشة. ارتجفت ابتسامة العجوز، ثم قالت بصوت دافئ مُدْرَب:

بابا بوت:

— مفيش فايده من الأسئلة دي في حاجات أهم.

ساد صمت طويل. ثم انفجر جون ضاحكاً، وضرب كتف أنجيلا بقوة. ولم يضحك أحد غيره. حتى الأطفال لم يضحكوا، كأن أحداً لم يخبرهم أن هذه نكتة.

زيدان (بابتسامة جامدة):

— ده... رد صريح زيادة حبتين. معلى لسه بيتعلم.

أنجيلا:

— بيتعلم من إيه بالظبط؟

زيدان:

— من خطبي ومن أقوال سعيد. بيتعلم خلاصة الحكمة في الدار.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنجيلا (بهدهوء، وهي تكتب شيئاً في هاتفها):

— يعني إجابته مش خطأ. إجابته صحيحة حسب اللي اتعلّمه.
نظر إليها زيدان نظرة قصيرة، ثم ضحك ضحكة ثقيلة، ولم يفهم
أحد لماذا.

من باب المطبخ الأبيض، المضاء بنيون قاس، كانت امرأة تقف
منذ بداية الحفل، تعصر طرف إشاربها بكلتا يديها.
لم تتحرك خطوة. وكأن أحداً رسم خطأ على الأرض لم تجرؤ
على تجاوزه.

زيدان (بنبرة المانح، دون أن يلتفت):

— يلا يا فاتن! سلّمي على ابنك!

عندئذ جرت.

جرت فاتن بإيشاربها القديم وخطواتها الثقيلة، وأطفال الصف الأول يفسحون لها الطريق بلا كلمة.

اصطدمت بنوح اصطداماً أكثر منه عناقاً، وأمسكت وجهه بكفين ترتجفان، وراحت تتحسسه كمن يتأكد أنه حقيقة وليست حلاًماً.

فاتن:

— نوح! يا حبيبي! يا روح قلبي!

نوح (يضحك ويبكي):

— تونة... يا تونة... ياتونة

فاتن (تبعده لتتنظر إليه، ثم تضمه ثانية):

— إنت رفيع ليه كدة ياواد! هما مش بياكلوك هناك؟

نوح:

— بياكلوني، يا تونة.

فاتن:

— اتعشيت؟

نوح (ينظر إلى الشمس فوق رأسه):

— الساعة اتنين الظهر يا تونة.

فاتن:

— آه. طب اتغديت؟

نوح:

— لسه.

فاتن:

— طب أنا هعملك أكل. (تلفتت إلى أنجيلا وجون، وصوتها

ينكسر) وانتو كمان. تعالوا يا ولاد.

نوح:

— تونة، ما سألتنيش حتى عن الدراسة، ولا الدكتوراه، ولا...

فاتن:

— الأكل الأول. الأكل أهم.

رفعت عينيها إليه، ورأى فيهما شيئاً لم يفهمه: توسلاً صغيراً،
كأنها تقول له: لا تسأل الآن.

وأدركت أنجيلا، من خلفه، أن الجملة التي قالتها أم نوح هي
بالحرف هي الجملة التي ينطق بها الكشك الأزرق.

أنجيلا (همساً، لجون):

— مين اللي اتعلم من مين؟ بابا بوت من فاتن، ولا فاتن من بابا
بوت؟

جون:

— أنا من ساعة ما جيت هنا وعلامات الاستفهام في دماغي
بتترص جنب بعض.

* * *

في الأسفل، تحت الساحة بمترين، كان الهواء رطباً ومعباً
بالصدى.

من فتحة التهوية الصغيرة في سقف الزنزانة، نزل خيط من
الضوء ومعه صوت بعيد، منتظم، يرتدّ على جدران البدروم كأنه
ينزل في بئر:

— وحشتنا يا نوح!... وحشتنا يا نوح!...

توقفت الطرقات الثلاث على الحائط.

في الزنزانة الأولى، وقفت امرأة على أطراف أصابعها، وألصقت
أذنها بالجدار الذي يفصلها عن الثالثة.

منى:

— سمعت؟

من خلف الجدار، جاء صوت رجل، هادئ، مبجوح

عبد الرحمن:

— سمعت.

منى:

— بينادوا على نوح.

عبد الرحمن (بعد صمت):

— ابن بابا ابراهيم.

منى:

— ابن فاتن.

عبد الرحمن:

— ابن بابا إبراهيم يا منى.

منى:

— الاتنين صح. ده اللي بيوجع.

جاء من بعيد، فوق رؤوسهم، ضجيج احتفال يبعد ويقترب.

وفي مكان ما من أعلى السلم، أغلق أحدهم باب البدروم بالمفتاح مرتين، لا مرة واحدة كالعادة.

منى (تدور في الزنزانة، بصوت عالٍ):

— يا عبد الرحمن، إنت مش حاسس إن في حاجة هتتغير
النهاردة؟

عبد الرحمن:

— مفاتيحهم النهارده أكثر سمعت صوت تكة قفلين مش قفل واحد.

منى:

— يعني ممكن يكون حد جاي لينا.

عبد الرحمن:

— أو حد خايف إن حد يجي.

وعاد الصمت. وبعد دقيقة، طرقت منى ثلاثاً على الجدار، فلم يأتها الجواب المعتاد.

انتظرت. وطرقت ثلاثاً أخرى.

من خلف الباب الحديدي، صاح حارس بصوت يتعمد القسوة:

الحارس:

— قلنا ممنوع الراديو النهارده! عاصم بنفسه اللي قال!

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ولأول مرة منذ خمسة وعشرين سنة، توقفت المحادثة بين
الجاردين، وسقط على الزنزانتين صمْتٌ بارد، كأن أحداً سحب
فيشة العالم.

* * *

في الجنيّة الخلفية، تحت أحد أشجار العم سعداوي، كان هيكل
سيارة قديمة غارقاً في التراب إلى نصف بابه، بلا عجلات ولا
زجاج.

وعلى لوح خشب مسنود فوق مقعدها الخلفي، اصطفت اثنا عشر
كتاباً بحسب الطول. وفوق الباب لافتة من الكرتون بخط طفل:
«المكتبة العامة».

وأمامها، على صندوق خشبي، جلس رجل في الاربعينات يقرأ
بإصبعه ما تقرأه عيناه، ويحرك شفثيه بلا صوت.

وقف نوح على بعد عشر خطوات، ولم يتحرك.

أنجيلا (بصوت خافت):

— ده سعيد؟

نوح:

— ده سعيد.

رفع الرجل رأسه. نظر إلى نوح، ثم إلى الكتاب، ثم إلى نوح ثانية، كمن يطابق وجهاً بصورة قديمة. سقط الكتاب من ركبته، ولم ينحن ليلتقطه.

سعيد:

— نوح؟

نوح:

— أيوه يا سعيد.

سعيد (يقوم ببطء، ويقيس بكفه الهواء عند كتفه):

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

— كنت فاكرك أطول.

ضحك نوح، ثم لم يعد ضحكاً.

سعيد:

— كنت بقول لِنفسي: لما يرجع هقوله إيه؟ وحضرت كلمتين.
(يفتش عنهما في جيوبه) وطارت.

نوح:

— قول أي حاجة يا خالو.

سعيد (بعد صمت، وصوته يهتز):

— هاقول مش ها لاقِي الورقة مفيش فايده.

ثم ضحك وهو يبكي، وفتح ذراعيه.

نوح(ضاحكا):

— تاني يخالوا مفيش فايده.

سعيد:

— أول مرة أقولها وأنا فرحان!

اصطدم به نوح، وبقياً هكذا. لم يقل أحد شيئاً. بكى الرجلان بالطريقة نفسها: كتف مرفوع ووجه مدفون.

وجاء من بين الأعمدة وقع شبشب على الحصى، ثم نداء متقطع:

مضبوط:

— الواد جه! الواد جه! أنا قلت مضبوط!

ركض شاباً في بداية الثلاثينيات نحيل، يحتضن بيد دفترأ سميكاً بغلاف كرتوني، وفي اليد الأخرى لعبة زرقاء بالية، مربوطة بخيط أسود.

نوح (يمسح وجهه):

— مضبوط!

مضبوط (يلهث):

— عشرين سنة وشهرين وثلاث أيام. أنا كنت حاسبها.

فتح الدفتر على صفحة طويلة مزدحمة بالأسماء، وفي آخرها سطر: «نوح — غايب — أوروبا». أخرج قلماً من خلف أذنه، وشطب السطر بخط مستقيم.

مضبوط:

— مضبوط. اتشطب خلاص.

جون (لأنجيلا، بالإنجليزية):

— هو كل حاجة عنده مضبوط؟

أنجيلا (بالإنجليزية):

— واضح إنه اسمه على مسمى.

دسّ مطبوط اللعبة الزرقاء في يد نوح.

مطبوط:

— دي كانت بتاعتي. لما أنت اتولدت كنت بحطها جنب سريرك،
وانت تمسك الخيط وما تسيبوش. خد. أنا كبرت عليها.

نظر نوح إلى اللعبة، ثم إلى الخيط الأسود حول أصبعه، ولم يجد
ما يقوله.

وجاء آخر الجميع يجري بصدرية تمرىض بيضاء، وعلى جيبيها
ملصق قلب أحمر، ييكي بصوت عالٍ دون خجل.

أنس:

— أنا أنس! فاكرنى؟ أنا اللي كنت بحط لك الشاش على إيدك
لما كنت بتتنعور وانت صغير! أنا ممرض دلوقتي!

نوح:

— هو حد يقدر ينسى روحيه. خالي الصغير وحشتني أوي

وضمّ نوح، ثم ضم سعيد ومظبوط، ثم مدّ ذراعيه إلى جون
الواقف على الهامش، وضمه هو الآخر.

جون (وهو مدفون في الصدرية، بالإنجليزية):

— احم. انا كدة بقيت جزءاً من العيلة.

وعلى بعد ثلاثة أعمدة، وقفت امرأة نحيلة، ذراعاها معقودتان،
وأصابعها تتحرك ببطء كأنها تعد شيئاً لا يراه أحد.

نوح:

— زهرة؟

زهرة (للأرض):

— أهلاً.

نوح:

— أنا...

زهرة (دون أن ترفع عينيها):

— عارفة إنت مين وحشتنا يا نوح.

ثم أدارت ظهرها ومضت نحو المطبخ، وهي تعد على أصابعها:

واحد، اثنين، ثلاثة...

أنجيلا (همساً):

— ما بصتش في عينيك ولا مرة.

نوح:

— عارف.

التقط سعيد كتابه من الأرض ونفخ عنه التراب، ثم فرد ذراعه
نحو اللوح الخشبي كمن يقدم قصراً.

سعيد:

— اتفضلوا، دي المكتبة العامة.

نوح:

— تعرفوا ان خالي سعيد... هو اللي علّمني القراءة.

سعيد:

— وإنت اللي لسه فاكّر اتفرجوا بس علي المكتبة.

جون:

— ممم دي مكتبة عظيمة.

سعيد:

— اتريق اتريق إحنا عندنا اتناشر علي فكرة وده غير ديوان
زبردجة الخازباز علي فكرة.

جون:

— اتناشر ألف؟

سعيد:

— اتناشر.

أنجيلا:

— وقريتهم كلهم؟

سعيد:

— واحد وأربعين مرة.

كل مرة بقراه بلاقي فيه حاجة ما شفتهاش قبل كده.

جون (معتذراً):

— أنا عندي سبعمية كتاب على الموبايل غير البتاعة اللي قولتها دي. ولا قرئت ولا واحد.

سعيد (بدهشة بريئة):

— البتاعة!!! اسمه لمعان الإزاز في شرح زبردرجة الخازباز

نوح:

— دي تعويذة دي يا سعيد صح مهو أكيد ده مش اسم كتاب بس سيبيك من السحر الأسود ده وخذ.

أخرج نوح من حقييته كتاباً أزرق صغيراً، وناوله إياه.

نوح:

— جبتة لك من لندن. «الأمير الصغير». بالعربي.

قلّبه سعيد بين أصابعه كمن يحمل رغيماً ساخناً.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

سعيد:

— ده... ده ثلاثة عشر.

نوح:

— جه في بالي ان دي أجمل هدية اجبها ليك.

سعيد (بصوت متهدج):

— أنا مش متعود... ده زيادة.

ثم وضعه فوق اللوح في آخر الصف، وعدّل الاثني عشر الباقيين
ليفسحوا له مكاناً.

وانطلق من باب المطبخ صوت فاتن:

فاتن:

— الأكل! الأكل يا ولاد!

مشوا جميعاً نحو مبني الدار الرئيسي، وتأخر مضبوط خطوة
ليصير بجانب نوح.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

مضبوط (بصوت واطي):

— تعرف حاجة؟ طول العشرين سنة، فاتن كانت بتحط طبق
قدام الكرسي الفاضي اللي في آخر الطاولة.

نوح:

— الكرسي ده...

مضبوط:

— كرسيك. كل ليلة. وتقول له: كُل يا نوح. وفي الآخر ما
بيتاكلش، فتاكله هي بنفسها عشان الأكل ما يترميش.

وقف نوح في مكانه لحظة. ثم أكمل المشي، ولم يلتفت.

في آخر الطاولة الخشبية الطويلة، كان كرسي بذراعين، وأمامه
طبق وملعقة. جلس نوح عليه لأول مرة.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وقفت فاتن فوق رأسه بالإناء، وملأت الطبق حتى حافته، وظلت واقفة تنتظر إليه وهو يأكل أول لقمة.

فاتن (بصوت منخفض جداً):

— كُل. بالله عليك متسيبش ولا لقمة.

أنجيلا لم تأكل. كانت تنتظر إلى الملعقة التي أمام الكرسي الخالي بجوار فاتن، وإلى الطبق الفارغ.

* * *

عند الثالثة والنصف، ظهر زيدان عند باب القاعة، مصفف الشعر، يهز مفاتيحه، وخلفه عاصم يمشي على بعد مترين، كالظل.

زيدان (كأنه يرد علي اتهام):

— ريّحتوا؟ يلا بقي. الجولة! لازم نوريكم دار الأمل. إحنا مش بنخبي حاجة!

وفي الطابق العلوي، غرفة بلا نوافذ، جدارها كله شاشة، وعلى الشاشة أرقام خضراء تتحرك:

«عدد الأطفال: ٦٤٠»

«ساعات الإنتاج اليومية: ١١»

«نسبة الرضا: ٩٨٪»

زيدان (بالإنجليزية مكسرة):

— !This... Kay Pee Ai. Perfect indicators

أنجيلا (بالإنجليزية، تقرأ):

— «التعليم العالي: واحد بالمئة. الهدف: واحد بالمئة. محقق».

(ترفع رأسها) الهدف واحد في المائة؟

نوح (يترجم لزيدان):

— بتسأل ليه الهدف واحد بالمئة مش ده قليل على أنه يبقي هدف

عايزين نوصله؟

زيدان (بفخر):

— الدار بتعلّم لحد إعدادي، وبعد كده مهنة. عشان نكون واقعيين! أي مؤسسة بتحط أهداف أكبر من قدرتها بتفشّل. إحنا حطينا هدف نقدر عليه، وحققناه.

جون (بإعجاب مرعوب):

— ده أنجح مدير مشروع قابلته في حياتي.

أنجيلا (بالإنجليزية، همساً لنوح):

— مفيش خانة للوفيات.

نوح (بالإنجليزية):

— ولا فيه خانة لمدارس.

ثم قادهم زيدان إلى قاعة طويلة بسقف معدني، وفي داخلها صفوف من الأطفال بزي أزرق على طاولات، أمام كل واحد كومة من اللعب الورقية، وأمامه تمر مرصوص في صناديق.

كانت الأيدي تتحرك بإيقاع واحد: تلتقط، تعبئ، تغلق، تضع. لا
أحد يرفع رأسه، ولا همس، ولا أزيز غير صوت الورق.
ثم رنّ جرس.

توقفت الأيدي كلها في اللحظة نفسها. وقف الأطفال، واستداروا
نحو الجدار، وقالوا بصوت واحد:
الأطفال:

— بابا زيدان أهلاً وسهلاً.

ثم جلسوا واستأنفوا العمل، كأن شيئاً لم يكن.
اقترب جون من طفل في العاشرة، وانحنى إليه.
جون:

— إيه اسمك يا بطل؟

الطفل (دون أن يرفع رأسه):

— أسمى طارق ورقم مية وأربعة عشر.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

جون:

— يتحب اللي بتعمله ده؟

الطفل:

— اللي بابا زيدان يحبه كلنا بنحبه.

جون:

— وإنت نفسك تبقى إيه لما تكبر؟

الطفل:

— اللي بابا زيدان يشوفه.

وعلى الطاولة المجاورة، رفعت طفلة صغيرة رأسها، وقالت
بصوت مبحوح لا يكاد يُسمع:

الطفلة:

— أنا نفسي أبقى ممرضة.

وفي اللحظة نفسها دسّ الولد الجالس بجوارها كوعه في جنبها،
فعادت إلى اللعب، وهمس لها:

الولد:

— بلاش كلام وقت الشغل كلنا ها نتاخذ بذنبك.

التقطت أنجيلا علبة من الصف، وقلّبتها بين أصابعها، ثم قرأت
المكتوب بالإنجليزية على غلافها:

أنجيلا (بالإنجليزية، لنوح):

— «مقطوف بأيدي الأيتام بحب. اشترى هذا المنتج وادعم ثلاثة
أطفال». (تتظر إلى الأسفل) وتحتها كلمة صغيرة: «Charity
Premium».

نوح (يترجم لزيدان):

— بتسأل عن العلبة دي.

زيدان (بفخر ساطع):

— Export! Europe! (ثم بالعربية، لنوح) الأوروبي بيدفع
أكثر لو على العلبة يتيم.

اهتز هاتفه في جيبه. أخرج، فنظر إلى الشاشة، فتغير وجهه
لحظة، ثم دسه ثانية.

زيدان:

— على شاشة الهاتف أسم الدكتور عبدون. هرد عليه بعدين.

(يضحك بتوتر) تليفون من حد بيرغي كثير. ثواني يا شباب،
هتابع الإنتاج وراجع.

ومشى بين الصفوف بخطوات الصاحب، وتبعه عاصم بعينيه.

وفي تلك الثواني، انحنى مضبوط فوق دفتره كمن يراجع رقماً،
وقال بصوت لا يكاد يتحرك:

مضطرب:

— الطفل ده بيتباع ثلاث مرات يا نوح.

نوح:

— إزاي؟

مضطرب:

— مرة تبرع من كفيله في أي كان جنسيته، تلتمية دولار في الشهر باسمه. ومرة شغل، وما بنديوش عليه ولا قرش، بنديله وجبة زيادة. ومرة صورة، تتحط في تقرير المنحة وهو لابس الأزرق ويبضحك... مصلحة حلوة صح... عشان كده احنا طيبين أوي وبنستقبل أيتام جداد على أسبوع

أنجيلا (بصوت متجمد):

— وكام طفل جاي الأسبوع ده؟

مضطرب:

— عشرين. الأسبوع اللي فات خمستاشر. دور بتتقفل في الغرب، وبتتبعثلنا. شيخون بيجمع، وزيدان بيستلم ويشغل، وإحنا بنعد.

جون (بصوت متقطع):

— وعلى كل ده... كلهم نفس الوضع محدش فيهم بيتعلم؟
مضطرب:

— ولا واحد دخل جامعة في تاريخ الدار غير صاحبك.

نوح:

— أنا... ليه؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

مضبوط (ينظر إليه مباشرة):

— عشان أنت مش يتيم وعشان اللي بيتعلم بيمشي. واللي بيمشي
بيحكي. واللي بيحكي... (يسكت) بيبقى زيك كده.

لم يرد نوح. ورفع مضبوط عينيه فرأى زيدان عائداً، فعاد إلى
دفتره وقال بصوت عادي تماماً:

مضبوط:

— مضبوط. الحسابات مضبوطة يا بابا.

* * *

عند آخر الممر الخلفي، بجوار المطبخ، نزل سلم قصير إلى باب
حديدي ثقيل، وفوقه كلمة WELCOME بحروف بلاستيكية
ذهبية.

وفوقها لوحة: «مركز الإصلاح والتأهيل». وعلى بعد خطوات،
رُبط الجمل المزيّن إلى عمود، كأنه من الديكور.

وقف عاصم عند أول السلم، وظهره إلى الباب، وعيناه على
الجمل.

زيدان (بالإنجليزية، فاحراً):

!Welcome! Center! Very modern —

ثم التفت إلى نوح وقال له بالعربية، بنبرة من يشرح لطفل:

زيدان:

.Welcome Welcome—

نظر نوح إلى اللوحة طويلاً، ثم قال بتمثيل متقن، وبالإنجليزية
الأجنبية:

نوح (بالإنجليزية):

— It says Welcome. Very nice —

وقال لأنجيلا وجون، بنبرة ناعمة لا تُظهر شيئاً:

نوح (بالإنجليزية):

— الاسم الحقيقي بالعربي في الياقطة اللي فوق: «مركز الإصلاح والتأهيل». هو زيدان ناسي ان يقرأ عربي.

تقدّمت أنجيلا خطوة، وأمعنت النظر في الباب الحديدي، وفي أعلاه، تحت الطلاء الجديد، ظلال حروف قديمة بالطباشير لم يمحها الطلاء تماماً.

أنجيلا (بالإنجليزية، بهدوء قاسٍ):

— ده لا Welcome، ولا ده مركز. ده سجن يا نوح.

(تتظر إليه) كلمة «إصلاح» لما تتحط على باب مقفول، بتبقى
تجميل لاسم السجن. والحقيقة لازم المكان ده يتسمى باسمه
الصح.

نوح (بالإنجليزية):

— بالعربي بنقول معتقل.

أنجيلا:

— يبقى معتقل.

ثم رفعت صوتها قليلاً، وبنبرة المحامية المتحفظة:

أنجيلا (بالإنجليزية، لنوح):

— اسأله إذا كان سكان البدروم اتعمل لهم محاكمة.

نوح (يترجم لزيدان):

— بتسأل إيه الناس اللي جوه دول؟ وهل اتحاكموا؟

فلمعت عينا زيدان، كأنه كان ينتظر هذا السؤال منذ سنين.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

زيدان:

— طبعاً اتحاكموا! إحنا دار قانون يا نوح! (يصفق) عبد الرحمن ده اتحاكم محاكمة ثورية يوم الثورة اللي عملناها على بابا إبراهيم. تحت شجرة الكافور، قدام الدار كلها.

نوح (بالإنجليزية، لأنجيلا):

— بيقول إن واحد اسمه عبد الرحمن اتحاكم محاكمة ثورية، يوم الانتفاضة على الرجل اللي كان حاكم الدار للأسف ابويا البيولوجي، والمحاكمة كانت تحت شجرة الكافور العملاقة اللي شوفناها في الجنيّة، قدام الكل.

أنجيلا (بالإنجليزية):

— ثورية!!! طب مين كان القاضي؟ وهل في محامي؟ أدلة؟ استئناف؟

نوح (لزیدان):

— بتسأل مین کان القاضي.

زیدان:

— الشعب! والحکم نطق بیه بکر الله یرحمه، وکان بالإجماع.

نوح (بالعربية، بصوت منخفض):

— إجماع إزاي؟

زیدان:

— بکر قال، والباقي سکتوا. وده أعلى مستويات الإجماع لو حد کان معترض کان قال یعنی.

سمعها جون، فلم يفهم كلمة، فنظر إلى أنجيلا بحثاً عن ترجمة. أشارت له بيدها: بعدين.

زيدان (يتحمس):

— ومنى كمان! دي أخطر.

دي قتلت بكر ونوران، وأتحاكمت في الجينة والقاضي كان سعيد! وكان فيه شهود في المحاكمة: زهرة، قالت شفتها داخلة وال... خارجة. (يضحك) وبعدها قالوا: تنزل البدروم.

نوح (بالإنجليزية، متقطع):

— بيقول إن منى قتلت اتنين، وأتحاكمت قدام خالي سعيد، وشاهدة قالت شفتها داخلة أو خارجة مكان الجريمة.

أنجيلا (بالإنجليزية، ببطء):

— داخلة أو خارجة. (تغمض عينيها لحظة) يعني قاضي عيل، وشاهدة ما تعرفش المتهمه كانت داخلة ولا خارجة، والراجل اللي استفاد من الحكم واقف جنب القاضي.

دي مش محاكمة يا نوح. ده مشهد من مسرحية آخرها معروف
سجن.

نوح (لزيدان، بنبرة المترجم):

— بتقول إن نظامكم القضائي فريد من نوعه.

زيدان (يتورد):

— شكراً! بلغها إننا متشرفين.

وفي تلك اللحظة، رنّ هاتفه ثانية. نظر إلى الشاشة: «الدكتور
عبدون»، ثم الثالثة. أغلق الاتصال وانصرف خطوتين إلى طرف
الممر.

بين زيدان وبينهم، اقترب مضبوط من نوح بخطوة، وكأنه يلتقط
دفتره.

مضبوط (بصوت يكاد لا يُسمع):

— اللي أتحاكت منى لكن أتحاكت على جريمته هو... هو اللي
قتل بكر ونوران يا نوح. وسعيد كان القاضي، وواقف جنبه وهو
مش فاهم هو بيعمل إيه.

خالك سعيد يا نوح عمره ما قال لأ لحد، وزيدان عرف ده من
أول يوم فنّفذ جريمته قتل بكر ونفذ الجريمة الثانية بإيده سعيد
اللي أصدر الحكم... وزيدان بقي شكله هو اللي نفّذ الحكم وهو
بتاع العدالة.

وانصرف مضبوط قبل أن يلتفت أحد.

في الدقائق التالية، لم يعد إلى ذهن نوح غير جملة واحدة. نظر
إلى الباب الحديدي، ثم إلى عاصم الواقف أمامه كالسد.

نوح (يقترّب، بخفة):

— عاصم، عايز انزل أشوف تحت؟

عاصم (بصوت ضيق):

— تحت مخزن أعلاف مفيش حاجه تتفرج عليها.

نوح:

— (بيتسم) أعلاف. وإنت بتخاف من الجمل، وبتخزن أكله تحت
وتقف حارث عليه؟

عاصم (دون أن يحرك وجهه):

— العلف مش للجمل بس يا أستاذ نوح.

وهنا لمحت أنجيلا ولداً صغيراً قادماً من آخر الممر، يمسك بحبل
الجمل ليفكه ويأخذه إلى الإسطبل، فأومأت لجون بعينيها، ورفعت
حاجبها.

جون (فجأة، بحماس مبالغ، بالإنجليزية):

!Camel! Photo! Camel and guard —
!Together

وتقدم نحو الولد، وممسك الحبل بنفسه، وجرّ الجمل خطوتين نحو السلم، واتسعت عيننا عاصم. نظر إلى الجمل، والجمل ينظر إليه ببطء، وشفناه تتحركان.

عاصم (بصوت مبجوح):

— لأ... لأ... لأ... مفيش صورة...

ثم تراجع تاركاً كل شيء حتي مفاتيح الباب العالقة بقفل الباب، ثم اختفى بين الأعمدة، تاركاً الباب بلا حارس لأول مرة.

أنجيلا ونوح، في ثانيتين، كانا أمام الباب الحديدي.

أنجيلا (بالإنجليزية، همساً):

— قفلين. واحد قديم مصدي... وواحد جديد مش عليه حتى تراب.

نوح (يلمس الباب):

— يلا بسرعة.



نزل ثلاثتهم

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

وأول ما قابلهم الزنزانة بين السلم والحائط، لم يقترب أيّا منهم
يتأملون اللوحة من بعيد أعلى الباب، تحت الطلاء، قرأ بصوت
ما بين الهمس والخنق الحروف التي لم يمحها الطلاء:

نوح:

— «...اللي عاملين يعرفوا ربنا».

ثم، من خلف الباب، ومن تحت الأرض، جاء الصوت.

طق، طق، طق.

وبعد لحظة: طق، طق، طق.

رفعت أنجيلا يدها فصمت نوح. وعدّت بأصابعها: ثلاثة، ثم
ثلاثة.

أنجيلا (بالإنجليزية):

— ده مش صدفة. ده إيقاع.

نوح (بصوت مخفوق):

— ده راديو الدار. كانوا بيسموه كده زمان شوفتها في وثائقي زمان.

أنجيلا:

— مين بيرسل لمين؟

وجاء صوت زيدان من أول الممر، مبتسماً بعدما أنهى مكالمته:
زيدان:

— بتعملوا إيه عند السلم؟ دي مخازن بس!

نوح (يلتفت بابتسامة بريئة):

— بدور على الحمام.

زيدان (يضحك):

— الحمامات VIP من هنا يا حبيبي!

في غرفة البابا، جلس زيدان وراء المكتب الواسع، وأغلق الباب بظهره، ثم أدار إصبعه على الشاشة، فتحول صوته، دفعة واحدة، من الدفء إلى شيء يشبه الحجر.

زيدان (يضغط الرد):

— أيوه يا دكتور.

جاء من السماعة صوت منخفض مشدود، كمن يتكلم بين أسنان مطبقة:

عبدون (من لندن):

— زيدان. إنت عارف انا اتصلت كام مرة ومبتردش؟

زيدان:

— كنت بستقبل ضيوفك يا دكتور.

عبدون:

— الواد وصل؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

زيدان:

— وصل. ويحضن أمه، وبياكل عيش وملح، ومعه ناس.

عبدون:

— عارف. معه محامية والواد الرخم الثاني.

زيدان:

— هنا مش محامية هنا دي أجنبية تتصوّر مع الجمل وتاخذ ضيافتها وبالسلاطة.

عبدون:

— اللي بتصوّر الجمل هي الخطر الحقيقي يازيدان. (يتوقف)

اسمع يا زيدان. المنحة بتاعة نوح المفروض تتجدد بعد ثلاث أسابيع يعني المفروض الواد راجع عندي، ولازم قبلها يكون فيه تقرير نظيف كدة وكام صورة للواد مع الأيتام ويا سلام لو رساله

شكر بتوقيع نوح. هتبقى زيتها زي إقرار بحسن المعاملة وسلامة
الأطفال وده ها يفرق معايا أنا كتير في أعلمي الخدمة دي.
زيدان (بضحكة قصيرة):

— وهو هيمضي؟ ده ابن فاتن، مش ابن حد غبي...مش ها
يعمل كدة أكيد الواد ده طول ما المحامية دي معاه مش هيمضي
على ورقة سواء ليها لازمة ولا ملهائش وبعدين نوح هنا ابني
أبقي مضيه انت لما يجيلك يادوك...طور.
عبدون:

— ها يمضي لما يجوع أو يخاف أو يحب. (بعد لحظة) وهو
بيحب أمه اتصرف بمزاجك بدل ما اتصرف انا انت عارف أنا
أقدر كتير.

ساد صمت. ثم قال زيدان ببطء:

زيدان:

— إنت بتهددني يا عبدون ومالك أنت بفاتن؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

عبدون:

— أنا بقول بس إن في حاجة يتمسك منها نوح وبتتمسك أنت
كمان منها.

زيدان (يضرب المكتب بكفه):

— إنت مين عشان تتكلم كده إنت ناسي ولا إيه؟!

إنت اللي هربت وسبتنا وسط الجثث! أنا اللي قعدت على السلم
أعد الأيام، وإنت قاعد في لندن بتشرب الشاي وتحسب نسبتيك
من العيال!

عبدون (بهذوء مخيف):

— تمام بس متنساش أنا اللي علمتك تعد وسيبتلك اللي تعده كمان.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

زيدان:

— لأ. اللي علمني و علمك ناس كتير شيخون وسعداوي وبنيامين
وبلير تحب أكمل ولا كفاية كدة..

سكت عبدون ثانية، ثم قال بنبرة ليست نبرته:

عبدون:

— رگز معايا. أنا من عندي ان نوح معاه تقرير اللجنة الطبية
اللي جت زارتكم بعد ما خلصوا من إبراهيم وقتلت وبكر ونوران
وفي التقرير مكتوب سن فاتن لما حملت والتقرير فيه صورة عقد
جوازها من إبراهيم اللي انت شاهد عليه وتزويج القاصرات هنا
مصيبه لو اتعرفت انت انتهييت ومصالحنا كلنا راحت.

تجمد زيدان.

زيدان:

— التقرير ده مات.

عبدون:

— مفيش حاجة بتموت في الورق يا زيدان.

شحب وجه زيدان. نظر من النافذة إلى الجنينة. وفي يده كانت
الميداليات تهتز بلا صوت.

زيدان:

— أنا ما كنتش وقتها...

عبدون:

— ما حدش هيسألك كنت إيه وقتها. هيسألك: مين وقع؟

وقف زيدان، ثم جلس، ثم وقف.

زيدان (بصوت متغير):

— عايز مني إيه يا عبدون؟

عبدون:

— أول حاجة: البدروم يفضل مقفول. محدش ينزل، ولا حد يسأل. ثاني حاجة: دفاتر مضبوط ما تطلعش بره المخزن. وتالت حاجة: خليك جنب الولد متسيبهوش لوحده لحظة واحدة حتي.

زيدان (بهمس):

— ولو طلب ينزل البدروم؟

عبدون:

— اللي في البدروم عندك دول عيّنة من الماضي لازم تفضل في الماضي.

زيدان (فجأة، بابتسامة ضاحكة مرة):

— إنت كدة مش بتقول لي: لازم يفضلوا تحت. إنت بتقول: لازم ما يبقوش موجودين.

سكت عبدون.

عبدون:

— أنا ما قلتش كده.

زيدان:

— ولا لازم تقول كده.

عبدون (بعد دقيقة):

— هكلم شيخون النهاردة طيب. وإنت خلي كل حاجة زي ما هي ما تتحركش ولا تتصرف من دماغك من غير ما أقولك.

زيدان (بنبرة ساخرة):

— أمرك يا بابا عبدون.

وانقطع الخط.

جلس زيدان في الصمت، ينظر إلى الصورة المعلقة للعجوز الطيب، ثم رفع الهاتف، وطلب رقماً قصيراً:

زيدان:

— عاصم. تعالى.

وحين دخل عاصم، وقف أمام المكتب مشدود الظهر، وقد استعاد وجهه الصارم.

زيدان:

— عينك على ضيوفى. كل خطوة، وكل كلمة. وعلى الباب اللي تحت. مفهوم؟

عاصم:

— تعليماتك أوامر يا بابا.

زيدان (يتأمل له لحظة):

— إنت الوحيد اللي ما خنتنيش يا عاصم.

عاصم:

— ولا هخونك.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وخرج. ولم يلاحظ زيدان أن جملته الأخيرة خرجت من فم عاصم
بنبرة أبطأ مما ينبغي.

* * *

في شقته بلندن، وقف عبدون أمام نافذة مطلة على نهر رمادي،
وشدّ ربطة عنقه، ثم أدار سماعة الرأس على أذنه، وضغط زرّاً.
عبدون:

— أهلين يا شيخنا عملت المكالمة جماعية سعداوي يدخل معنا
لازم نعمل اجتماع طارئ.

جاء صوت شيخون أولاً، ناعماً دافئاً، كأنه يرفع الشاي إلى
شفتيه:

شيخون:

— يا دكتور، إنت دايماً طارئ. إيه الجديد؟

وانضم صوت ثانٍ، متقطع:

سعداوي:

— ثانية... أيوه يا دكتور، أنا معاك.

عبدون:

— الولد وصل. نوح. ومعه محامية، وتقرير اللجنة الطبية اللي اتعملت زمان بعد إبراهيم البنا ما غار في داهية.

شيخون:

— هو هدد زيدان بحاجة؟ أو في حاجه تتمسك عليه

عبدون:

— المشكلة في موضوع البدروم.

سعداوي (يضحك):

— هو لسه فيه بدروم؟ أنا قلت العيال تحت ملهوش صوت ولا بسمع عنهم أخبار من زمن توقعت انهم حصلوا بكر، هو زيدان

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

سايبهم ده كله ليه أصلا؟ غريب أنت يا زيدان مكنت خلصت
بجملة اللي إتعمل يعني.

عبدون:

— منى وعبد الرحمن عايشين يا سعداوي وانت عارف وعارف
كمان اني مليش في موضوع القتل والدم ده ولا بحب أتكلم عنه.

المهم دلوقتي الأثنين دول أقدم اتنين في البدروم من خمسة
وعشرين سنة من قبل نوح ما يشرف الدنيا.

والمحامية اللي جاية مع نوح مش بس بتسأل مين تحت لأ كمان
بتسأل: مين اتحاكم؟ والكلام ده لو نتشر هياثر على شغلنا.

سعداوي:

— ولا يأثر ولا حاجه يا عبدون متكبرش الموضوع إيه اللي
يزعل؟ دي أحسن حاجة اتعملت في تاريخ الدار! مجرمين
واتعملهم محاكمة عادلة: قاضي، وشاهد، ومدعي عام وخدوا
جزائهم.

عبدون:

— هنا في أروبا مش ها يعتبروا اللي حصل محاكمة عادلة.

سعداوي (بعد لحظة):

— تصدق معاك ياعم مهما عندك عارفين اللي فيها. وضحك
ضحكة قصيرة، وبيعملوا مش من هنا عشان مصالحهم برضه.

عبدون:

— بتضحك والله يا جماعة أنا مش بهزر ولا بهول. لو المحامية
وصلت لحاجة، هتوصل للشاحنات و...

وهنا قاطعه صوت رابع انضم للمكالمة، هادئ، رسمي، يتكلم
عربية فصحي ولكنة خفيفة لا تُعرف:

الصوت:

— السلام عليكم.

ساد صمت مفاجئ.

شيخون (بنبرة مختلفة، منكشة):

— أهلاً بعمنا.

الصوت:

— كنت أسمع ولم أقطع حديثكم. يهنا الان هو الهدوء.

كلام عبدون صح واضح أنه وجوده في عواصم أوروبا السنين
دي كلها خلته يستحق لقب الدكتور، الأسئلة عن البديوم ها
توصلنا إلى من لا نريد أن تصل إليهم الأسئلة.

عبدون (بصوت يرتجف):

— نتصرف أراي سعادتك.

الصوت:

— لا أريد أن أعرف كيف. أريد أن أعرف متى. (بعد لحظة)
والولد؟

شيخون:

— مفيش حاجة هتمسه يا عمنا متقلّش. لسه ما بقاش خطر.

الصوت:

— «لسه» كلمة مربية. تصبحو على خير.

وانقطع الصوت.

ظل الثلاثة على الخط دقيقة، لا يسمع واحد منهم غير أنفاس الآخرين.

سعداوي (بصوت جديد، منخفض):

— أنا قلت لازم نفتح الدار عند زيدان على السوشيل ميديا ونحسن الصورة. محدش سمعني.

شيخون (بهدهوء):

— اقفل يا سعداوي. عايز أكلم عبدون لوحده.

وبعد ثانية، فصل الخط، وبقي الاثنان.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

عبدون:

— زيدان مش هيقدر. هو شايف نفسه ملك. مش هيسمع.

شيخون:

— زيدان؟ (يضحك ضحكة قصيرة) ده أنا اللي عملته.

عبدون:

— ما فيش داعي نفتح في القديم أنت عملته على حسابي...

شيخون:

— إنت هربت يا عبدون، وسبتنا في الليلة دي بعد ما وثقنا فيك،
كان لازم نلم الدور اللي انت بعترته ولقينا زيدان ولولا وقفنا في
ظهره زمان كان زمانك انت نايم على الرصيف في لندن متنساش
اني مبعتكش وزى ما وقفت ورا زيدان عشان الدار تستقر وقفت
معاك انت كمان واديك دلوقتي مستشار اكبر حكومات العالم.

سكت عبدون.

شيخون:

— خـلينا ننسي الحواديت دي دلوقتي، أنا عندي حل مش في
إيدك ولا في إيد زيدان.

عبدون:

— إيه هو؟

شيخون:

— انت سديت نفسي لكلامك عن الماضي بلا اقفل مش مهم
دلوقتي

* * *

عند آخر خط الأعمدة الغربية، حيث تنتهي كاميرات زيدان ويبدأ
سور المزرعة، كانت شجرة نخيل طويلة تلقي ظلها على أرض
مبللة.

وعلى بعد أمتار، الجمل مربوط بحبل قصير إلى بئر.

جاء عاصم بخطى سريعة، وقبعته في يده، ووقف على بعد ثلاثة أمتار من آخر كاميرا، أخرج هاتفه وأتصل برقم وانتظر الاستجابة.

شيخون (بدفء):

— ألو يا عاصم يا حبيبي طمني على الأوضاع عندك.

عاصم:

— كل حاجة تمام زي ما اتفقت معاك بالضبط متقلّش.

شيخون:

— فاكّر مين اللي لقاك زمان؟

عاصم:

— حضرتك يا عمّ شيخون. في الصحرا. وأنا صغير.

شيخون:

— كنت نايم جنب جمل ميت، وعمرك سبع سنين، وما فيش حد شافك. وأنا اللي أنقذتك وسلمتك للباب ووصيته عليك. ولما كبرت شوية أنا اللي خليتك قائد حرس الدار.

عاصم (بصوت ضيق):

— عارف يا عم شيخون وعمرى ما انسى أفضالك عليا.

شيخون:

— وتعرف مين اللي علّم زيدان؟

عاصم:

— حضرتك.

شيخون:

— لما عبدون هرب، ما كانش فيه بابا للدار. وكنا محتاجين حد
يمسك الدار وينقذ أخواتك ويجمعهم وعملناه بابا. بديل عن بابا
هرب.

شيخون:

— لكن زيدان بدأ صدف نفسه البابا.

والبابا اللي بيصدق نفسه يبقى خطر ممكن يقتل وممكن يسرق
وممكن يعمل حاجات كتير أوي واحنا بعدي كتير بس مش
عايزين حد يقرفنا، أو يبقى عبء.

النهارده رجع نوح: آخر العنقود اللي عدى السور وراح أوروبا
وأتعلم وجاب شهادات ومحامية.

لو الدار أتتهزت وزيدان بقي عبء لازم يبقى البديل جاهز،
فاهمني يا عاصم.

عاصم (بعناد، ببطء):

— أنا مع زيدان لحد الآخر لأنني متأكد أنك كمان معاه.

شيخون (برضا هادئ):

— وأنا ما طلبتش غير كده. اللي مع حد لحد الآخر بيفضل معاه... لحد ما الآخر ييجي.

فاكر التليفون الزراير بتاع زمان الرجالة بتوعي الصبح هايدوك واحد فيه خط شغال متسجل فيه رقم واحد. «عمّك شيخون».

متتصلش مهما حصل بأي حد منه خليه معاك ومحدث يشوفه يمكن نحتاجه لما الآخر ده ييجي.

عاصم:

— حصل ياريس

شيخون:

— لما حد ينزل البدروم، تعرفني قبل زيدان. المفاتيح معاك إنت لوحدك. والولد وصحابه، ما تلمسهمش. بس خليك قريب منهم. وأنجيلا، عايز أعرف مين بتكلم وإيه اللي بتكتبه.

عاصم:

— وزيدان؟

شيخون:

— أعمل اللي بقوله دلوقتي وكل حاجه في وقتها يا عاصم.

عاصم:

— هو الجمل اللي أنت حاطه ديكور عندنا ده... هيفضل مربوط هنا كتير؟

شيخون (بيتسم):

— معرفش قائد عسكري زيك إيه ده اللي يخاف من حيوان
مسالم كده يا ابني أنا بعتته هدية ليكم عشان العقد اللي عندك دي
تتحل يا...بابا.

* * *

في ليل البدر، مرّ نور المصباح الأصفر على ثلاثة أبواب
حديدية، وتوقف أمام الأول.

وقف عاصم أمام الباب الأول وحده، لا حارس معه. أخرج
المفتاح، وأدار القفل الجديد، ثم القديم. وفتح النظارة الصغيرة.

عاصم (بصوت عسكري):

— الأكل هيجيلكم. والكلام الأيام الجاية ممنوع خالص.

وجاء من الظلام صوت امرأة، مبحوح ثابت، لا يتغير منذ
عشرين سنة:

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

منى:

— عاصم باشا قلقان وجي يطمئن على إيه.

لم يرد.

منى:

— عاصم صحيح. مش إنت برضه اللي كنت بتقف ورا الباب
وإنت صغير، وتسمع كلامنا، وتجري تقوله لزيدان. لسه بتنقل
الكلام؟

تجمد وجهه، لكن يده لم تتحرك.

عاصم:

— ممنوع الكلام يا ست منى.

منى:

— ولسه بتخاف من الجمل برضه؟

عاصم:

— ما فيش جمل.

منى (بنبرة أهدأ):

— ابن فاتن جه صح؟ إلا أنت قلقان من إيه؟

أغلقت النظارة بصوت مدوّ، كأنها صفعة.

وقف عاصم في الظلام، يلهث، وعيناه على الباب. ثم، من خلفه،
من الزنزانة الثالثة، جاء صوت ثانٍ، هادئ، يقرأ بصوت خفيض:

عبد الرحمن:

— «حسبنا الله ونعم الوكيل...»

وطقت منى على الجدار ثلاثاً. ثم ثلاثاً. بلا جواب. ثم ثلاثاً.

في قاعة الطعام الكبرى، كانت الطاولة الخشبية الطويلة قد غُطّيت
بمفرش أبيض لم يره الأطفال من قبل، وصُفّت عليها الأطباق:
رز بالخلطة، وبط، وفراخ مشوية، ولحم، وصواني حلوى.

على رأس الطاولة، تحت صورة العجوز الطيب وقد جُمِلت
ملاحمها، جلس زيدان، وبجانبه نوح. وعلى الطرف الآخر،
الكثك الأزرق وشاشة بابا بوت تلمع بابتسامة ثابتة.

وعلى الجانبين، جلس سعيد ومظبوط وأنس، وزهرة، وجون،
وأنجيلا. وعلى الحائط عاصم واقف بلا حراك.

زيدان (يرفع كوب العصير):

— في صحة نوح! آخر العنقود!



الجميع (متفرقين):

— في صحة نوح.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

فاتن لم تجلس. كانت تدور حول الطاولة بالأواني، تملأ هذا وذاك، وكلما مرّت بنوح مسّت كتفه بطرف يدها، كمن يتأكد أنه موجود.

نوح لم يأكل. كان يعد الكراسي الفارغة حول الطاولة بعينيه. عدّ مرتين. ثم، في آخر عدّة، وجد كرسيّاً بجوار فاتن، بلا طبق ولا ملعقة. ولم يجروا أن يسأل لمن.

زيدان (بنبرة المضيف):

— الأكل هايبرد يا نوح. كل. ده كل ده معمول عشانك مخصوص.

تنفس نوح، ووضع الملعقة على الطبق، ثم رفع رأسه.

نوح (بصوت هادئ، بالعربية):

— ماما. هي فين منى؟

سقطت الملعقة من يد أنس، وكأن الكلمة ضربته. وارتعشت يد سعيد وكوب العصير فيها، حتى انسكب نصفه على المفرش الأبيض.

زيدان لم يتحرك. ابتسامته ظلت في مكانها، لكن عينيه، خلفها، كانتا تحسبان.

نظر مضبوط إلى طبقه. وأخذت زهرة تعد حبات الرز على الحافة: واحد، اثنين، ثلاثة.

وتجمدت فاتن بإناء الصلصة في يدها، وحبست أنفاسها.

نوح (ينظر إلى وجوههم واحداً واحداً):

— أنا بسأل: فين منى؟

أنجيلا لم تتحرك. فقط، وبحركة صغيرة، أخرجت هاتفها وضغطت على شاشته دون أن ينتبه أحد.

وحتى الكشك الأزرق، الذي يجيب عن كل سؤال في الدار، لم يضىء.

فاتن (أخيراً، وصوتها مكسور):

— كُل يا نوح. بالله عليك. كُل.

زيدان (يضع كفه على كتف نوح، بنبرة أبوية ثقيلة):

— الأسئلة دي بعدين. النهارده يوم فرحة.

ثم، من تحت الأرض، من تحت أقدامهم، من تحت الطاولة بمترين، جاء الطرق.

طق، طق، طق.

جمد الجميع. نظر عاصم إلى الأرض، ثم إلى زيدان.

وبعد لحظة: طق، طق، طق.

عدّت أنجيلا بأصابعها تحت الطاولة، دون أن ترفع عينيها عن نوح.

ولم يجب أحد عن السؤال. ولم يجب أحد عن الطرق.

وقف نوح وأخذ خطوتين نحو الباب، وقف الجميع فالتف نوح:

نوح:

— في حاجه غلط مهو لو كل حاجه صح أنتوا كده ليه أنتوا شافين أن أنتوا ناس طبيعية وأن اللي بيحصل هنا ده منطقي؟

الفصل السادس

الأهرامات بالتقسيط

في الصباح التالي، ظهر في ساحة الدار كشك جديد من الخشب الملمّع، وفوقه لافتة بخط ذهبي: «الأهرامات بالتقسيط — دار الأمل للسياحة».

وخلف الشباك جلس ولد في الثانية عشرة، بكرافطة أكبر من رقبته، وأمامه ماكينة إيصالات.

وتحت اللافتة قائمة الأسعار: «باقة VIP: تبرع ١٠٠٠ جنيه. وللايتام... التقسيط على ٢٤ شهراً بدون فوائد».

جون (يقرأ القائمة بانبهار):

— طبعا رايح.

زيدان (يتقدم في ملابسه النظيفة):

— طبعاً يا جون الهرم الرحلة دي معمولة أصلاً عشانك.

جون:

— عشانني وبفلوس!

زيدان:

— لو عليا عايز أعملك كل حاجة ببلاش بس دي مش فلوسي
دي فلوس الأيتام الغلبة دول اعتبره تبرعاً.

جون (للمراهق داخل الكشك):

— كويس أني غيرت عملة أتفضل يا أستاذ ٣ تذاكر

كتب الولد الإيصال بخط طفولي، دون أن يرفع عينيه وفي أعلى
الورقة كُتب إيصال تبرع.

قبل الانطلاق بدقائق، وقف نوح في المطبخ، وكانت فاتن تلف الشطائر في أوراق بيضاء.

نوح (بصوت منخفض):

— ماما، ليه مكنتيش بتردي على تليفوناتى الفترة اللي فاتت؟

فاتن (دون أن ترفع رأسها):

— كان بيبقي التليفون على الشاحن مبسمعهوش.

نوح:

— على الشاحن ثلاث أسابيع؟

فاتن:

— أيوة

أخرج من جيبه هاتفاً صغيراً ما زال في علبته، ووضعه بين الشطائر.

نوح:

— جبه ليكي من لندن واشتريت الخط من المطار متخليش حد يشوفه هنتكلم من غير ما حد يشوفك ولا يسمعنا.

نظرت فائن إلى الهاتف كما تنتظر إلى مسدس.

فائن:

— مفيش في الدار هنا حاجة اسمها «محدث هيسمع». (تبتسم)
بس شكراً يا حبيبي.

وبحركة سريعة، كأنها تقلب الأرز، دسّته في جرة الدقيق.

وفي تلك اللحظة دخل زيدان المطبخ، وشمّ الهواء كمن يتذوّق الجو.

زيدان:

— إيه الريحه الحلوة دي! (ثم لفاتن، بابتسامة بلا دفع) جهزي
السندوتشات للأولاد يا فاتن. ومتأخرش. أنا מבחש التأخير.

فاتن:

— حاضر يا زيدان.

وقفت القافلة أمام البوابة: ثلاث سيارات سوداء، وهامر ذهبية
لزيدان، وأتوبيس أصفر حُمل بأربعين طفلاً بالزي الأزرق
الموحد.

أنجيلا:

— هو ده الأتوبيس اللي قتلتم عليه. هما أزاى بيحملوا الأطفال
زي المواشي كدة.

جون:

— مش ملاحظة يا أنجيلا انك بتتلككي وبتشوفي كل حاجه على أنها غلط ووحشة؟

أنجيلا:

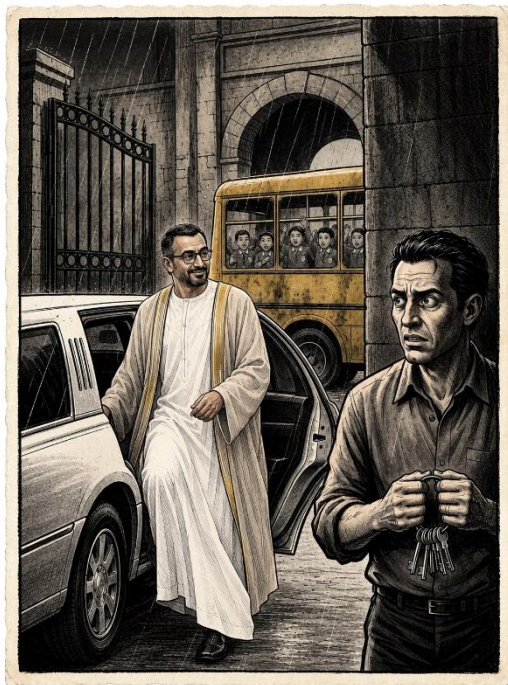
— أنا!!!

جون:

— أيوة انتي. انا عارف أنا في مكان مليون بلاوي بس أكيد مش منها الأتوبيس ده لأن الحقيقة انا مش شايف غير أتوبيس واخد أطفال لرحلة... ولو كنتي شوفتي نفس المنظر ده بكل تفاصيله عندنا في لندن كنتي هاتقولي يااه كيوت أوي مكنتش هاتقولي مواشي.

سكتت أنجيلا ولم تجد ما ترد.

وقبل أن تتحرك القافلة، دخلت من البوابة سيارة بيضاء ضخمة،
وتوقفت بهدوء، فانفتح بابها الخلفي.



نزل رجل بجلباب أبيض ومسبحة، بوجه ودود كالخبز الساخن.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

وخلفه نزل رجل ضخم في ترنج رياضي، يحمل هاتفه بـكلتا يديه،
وعينه عليه.

تغيّر وجه زيدان في لحظة، ثم ابتسم بسرعة.

زيدان:

— عمّ شيخون! ده إيه المفاجأة الحلوة دي!

شيخون:

— مفاجأة؟ أنا قلت لك إني جاي. (بصوت أرق) ولا نسيت يا
زوز؟ هو أنا نوح ده ابنك لوحـدك ده ابننا كلنا.

احمرّ وجه زيدان. ومن داخل الأتوبيس الأصفر، ارتفع صوت
الأطفال بلا إشارة من أحد:

الأطفال:

— صباح الخير يا عمو شيخون! كان صوتهم أعلى مما قالوه
لزيدان.

وسمعا زیدان، فشدّ على میدالية مفاتیحه حتی ابیضّت أصابعه.

تقدّم شیخون إلى نوح، وعانقه طویلاً، ثم أمسك وجهه بین كفيه
کمن یزن ثمرة.

شیخون:

— أنت أزاي کبرت کده یلواد؟

نوح:

— مین حضرتک؟

شیخون:

— أنا شیخون یا حبیبی مش ها تفتکرنی أنت اخر مرة شوفتني

کان عندک تلت سنین بس خد بالك أنا لیا عندک واحدة شکراً

عشان أنا اللي قولت لزیدان یسفرك تتعلم برة مهو أنت مش یتیم

عشان یبقي أخرج اعدادي.

نوح:

— أيوة يعني أنت مين برضوا وبتدي أوامر لزيدان بصفتك إيه
ويعني إيه أنت مش يتيم مالهم اليتامي أصلهم لو وحشين مهم
أعرف عشان ماما منهم

شيخون:

— أستعفر الله العظيم يابني فهمتني غلط أنا أكثر واحد بيخدم
الأيتام ومدير دار أيتام زي دي،

والأرض اللي حوالين الدار بتاعتكم دي كلها بتاعتي، أنا وبابا
زيدان بنزرعها. (يضحك) بالنص عشان نأكل الأيتام اللي منهم
لمؤاخدة أمك.

هاتف شيخون يرن على الشاشة يظهر اسم سعداوي ينظر شيخون
للهااتف ثم يرفع رأسه إلى نوح

شيخون:

— بس تصدق إنت طالع شبهه... (يتوقف) أبوك.

ثم ساد صمت ثانية. نظر شيخون إلى هاتفه ورفع على أذنيه
أيوه يا سعداوي تصدق شبه أبوه أوي.

ثم أخذ شيخون زيدان من ذراعه، ومشى به خطوتين بعيداً عن
الجميع، ولم يخفض صوته إلا بمقدار ما يلزم.

شيخون:

— حدوة الواد ده لازم تخلص خلال ١٠ أيام في اتفاقات مهمة
مينفعش تتعطل.

زيدان:

— خليك معايا طيب

شيخون:

— الكل معاك متقلّش

تراجع زيدان خطوة. ولاحظ الجميع، من بعيد، أن البابا الذي لا يُرفع صوته عليه قد صار فجأة طفلاً.

أنجيلا، من نافذة السيارة، كانت قد أخرجت هاتفها وكتبت كلمة واحدة: «خلال عشرة أيام».

وحين التفت شيخون ليصعد سيارته، لمح عاصم عند أول القافلة، فانحنى عاصم انحناء قصيرة جداً، لا تليق بقائد الحرس أمام سيد الدار.

نوح (بالإنجليزية، لأنجيلا):

— عاصم بيحترم شيخون أكثر من زيدان بكثير خدتي بالك.

أنجيلا:

— خدت بالى.

شيخون (من نافذة السيارة، بصوت للجميع):

— هستناكم عند المزرعة وإنتم راجعين، نشرب شاي.

وانطلقت السيارة البيضاء، وانطلقت القافلة وراءها بعد دقيقة،
زيدان لم يتكلم كله واحدة بعد رحيل شيخون.

* * *

في الهامر الذهبية، كان المقعد الجلد الأبيض يصدر صريراً مع
كل حركة.

جلس زيدان على مقعد السائق، ونوح بجانبه، وجون في الخلف
يصوّر كل شيء. وفي منتصف التابلوه شاشة، وعليها وجه
العجوز الطيب.

بابا بوت (من الشاشة):

— بعد مئتي متر، انعطف يميناً.

جون (يضحك وهو يصور):

— ده بابا بوت GPS كمان؟

زيدان:

— بابا بوت كل حاجة في حياتنا.

جون:

— وها يعرف الطريق ولا هنتوه؟

زيدان:

— ده أحسن من خرايط جوجل اللي بتجمع معلومات عننا عشان

تبيعها للشركات الكبيرة.

اهتز هاتف زيدان على التابلوه، وأضاء اسم «شيخون».

أغلق الخط دون أن ينظر إليه، وأدار وجهه نحو نوح بابتسامة أبوية.

زيدان:

— أنا مبسوط بيك أوي يا نوح. سيبك من أي كلام تسمعه من أي حد. أنا اللي بعثك تدرس في أروبا، فاكّر؟

أنا قلت لفاتن: عيل زي ده لازم يتعلم صح حتي أسألها.

نوح:

— يعني اللي بياخدوا الإعدادية مش بيتعلموا صح أهو.

زيدان (متجاهلا كلام نوح):

— والبت أنجيلا دي، أبوها بيشغل إيه؟

نوح:

— مش عارف.

زيدان (يضحك):

— مش عارف؟ ده أول سؤال بسأله لأي حد معاه بنت. (ثم بنبرة أهدأ) بص يا نوح أنا سامع أفكارك وعارف اللي بيدور في دماغك.

بس خد بالك: الناس هنا بتتعب لما الأفكار تيجي قوية. وفي الدار حاجات بقالها عشرين سنة نائمة. ما تصحّيهاش.

نوح:

— حاجات زي إيه؟

زيدان:

— يا دكتور ده سؤال برضوا.

نوح:

— أنا لسه مش دكتور.

زيدان:

— هتبقى. وساعتها نقعد زي اتنين متعلمين. أنا كمان متعلم...
اتعلمت من الحياة.

جون (بالإنجليزية، هامساً من الخلف):

— He's good.

* * *

وفي لندن، كان المطر يضرب نافذة مكتب ساشا، وفي المكتب
أربعة: ساشا، ومانويلا، وامرأتان لم تعرف إحداهما الأخرى قبل
ساعة.

على اللوح الأبيض كُتبت تواريخ وسنوات بقلم أزرق: وبجانب
كل سنة حرف واحد.

ساشا:

— ثلاث قواعد قبل ما نبدأ.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أولاً: كل واحدة تكتب اللي حصل لها هي، مش اللي سمعته.

ثانياً: محدش يتصل بيه ولا بحد من ناحيته.

ثالثاً: ولا كلمة للصحافة.

لينا (مساعدة تدريس سابقة، متوترة):

— وليه الصحافة لأ؟ ده الطريق الوحيد اللي بيسمعونا منه.

ساشا:

— الترندي بيعيش يومين، وبعدين خوارزمية تحذفه سواء عشان ترند جديد انتشر أو عشان الخوارزميات اتبرمجت تحذفه.

عايزين تاخدوا حقكم امشوا ورايا

نظرت مانويلا إلى اللوح، وقرأت بصوت منخفض جملة كتبتها بيدها في ورقة أمامها:

مانويلا:

— «في مشروع كبير محتاج مساعدة، ولازم نتكلم بعد المحاضرة».

ليينا (بعد صمت):

— لما قرأت جملتك يا مانويلا، حسيت إنني بقرا جملتي أنا.
كتب ساشا تحت السنوات كلمة واحدة: «نمط متكرر».
وفُتح الباب، ودخلت شابة بحقيبة قديمة وطرحة، تلهث من الدرج.

هدى:

— أنا هدى. مانويلا بعتتلي رقمكم. أنا... مش من الجامعة.
معلش متعرفونيش أنا كنت جاية تدريب هنا من دار أيتام في
مصر. (تجلس) وهو كان «المسؤول عن التدريب».
ساد صمت ثقيل.

ساشا (بلطف):

— خدي وقتك.

هدى:

— لما اشتكيت في المؤسسة اللي بتستضيفنا هنا في لندن، السيدة
ويتمور فتحت العقد على المادة الرابعة عشرة، وقالت لي:
المؤسسة بتحترم سمعة شركائها.

وضع ساشا القلم على المكتب.

ساشا:

— البند الرابع عشر ثاني.

مانويلا:

— هو نفس البند اللي نوح...

ساشا:

— نفس البند. وهو اللي سكّت هدى من سنتين.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

دَوّن على اللوح اسماً جديداً. ثم عدّ بإصبعه، وكان أمامه رقم لم يقله بعد.

ساشا:

— بقوا تمانية. هنقدم الملف للجامعة، ولجنة التحقيق المستقلة، وللشرطة. بس لازم اللي عملت الملف وجمعتكم ببعض هي اللي تقدم البلاغات القضائية.

ليينا:

— أنجيلا!!! ليه يعني مش ممكن حضرتك اللي تقومي بالمهمة دي؟ أنجيلا في رحلة مصر.

ساشا:

— للأسف وصلني إخطار الجامعة الصبح: إيقاف احترازي عن التدريس لحد ما يتحقق معايا في شكوي اتقدمت فيا النهاردة الصبح ولو انا اللي قدممت البلاغات ها يضعف موقفنا.

ليينا:

— يارب ناخذ حقنا انا هتواصل مع أنجيلا متأكدة انها اما تعرف
ها تيجي فوراً ولو في اخر العالم.

ساشا:

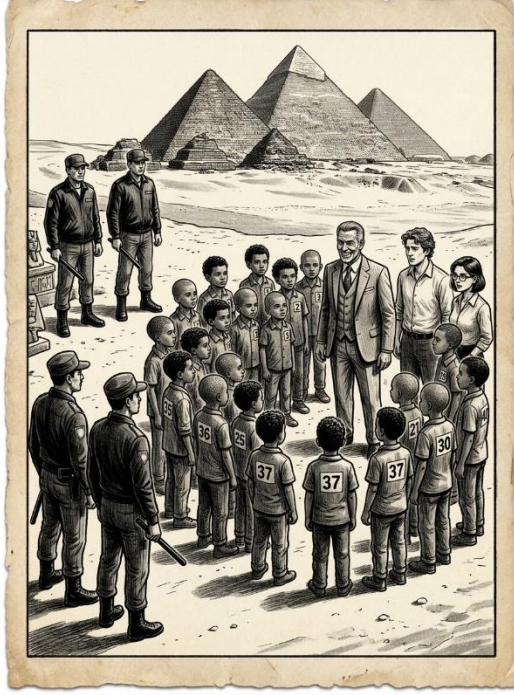
— المرة دي في ثمانى توقعيات من تمان ناجيات، وبكرة هيقوا
أكثر لما المحاكمة تبدأ متأكدة ان في ناجيات كتير غيركم
ها يظهروا.

* * *

على هضبة الأهرامات، كانت الشمس عالية، والحجر الأصفر
يلمع كأنه خرج من الفرن.
وقف الأطفال وأمامهم زيدان بمكبر صوت صغير، ووراءه
عاصم متحفزاً.

زیدان (بنبرة المرشد):

— الأهرامات يا أولاد! بنيناها من تلت ألف سنة.



جون (يقفز من مكانه كمن لدغه شيء):

— لأ لأ لأ! استنوا!

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

التفت إليه الأطفال دفعة واحدة، فتجمد لحظة، ثم تقدّم.

جون:

— الهرم الأكبر عمره حوالي أربعة آلاف وخمسمية سنة. بناه خوفو، حوالي سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد.

ولد في العاشرة، وفي صدره رقم «٣٧»، تقدّم خطوة.

الولد:

— بابا زيدان قال ثلاثة آلاف!

جون:

— بس هو غلطان.

الأطفال (بصوت يرتفع):

—بابا زيدان مش بيغلط!

تقدّم صف كامل خطوة إلى الأمام، كأنهم تشكيل عسكري وارتفع
الهتاف: «ثلاثة آلاف! ثلاثة آلاف!»، وبدأت الأيدي الصغيرة
تدفع جون إلى الوراء.

أنجيلا:

— جون، ارجع.

جون (وهو يتراجع):

— أنا بصح معلومة! ده تاريخ!

ثم جاء زيدان بابتسامة المنقذ، ورفع يديه، فتوقف الأطفال.

زيدان:

— إحنا بنتكلم بالتقريب يعني! ثلاث آلاف من خمسة آلاف مش

قصة يعني في بيتها مينفعش تخرجني قدام ولادي.

جون (بالإنجليزية ونوح يترجم):

— ده خمسين في المية تقريبا!

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

زيدان:

— طيب أهو خمسين في المية! (يضحك) نسبة رضا ممتازة.

ولم يضحك الأطفال، لكن واحداً منهم، في آخر الصف، همس
لزميله: «هو أربعة آلاف وخمسمية؟»، فردّ الآخر بصوت
أخفض: «ما تسألش».

يقف رجل بدوي وبيده لجام جمل يلتقط الزوار صورا معه تحرك
الرجل وتحرك الجمل في ظله.

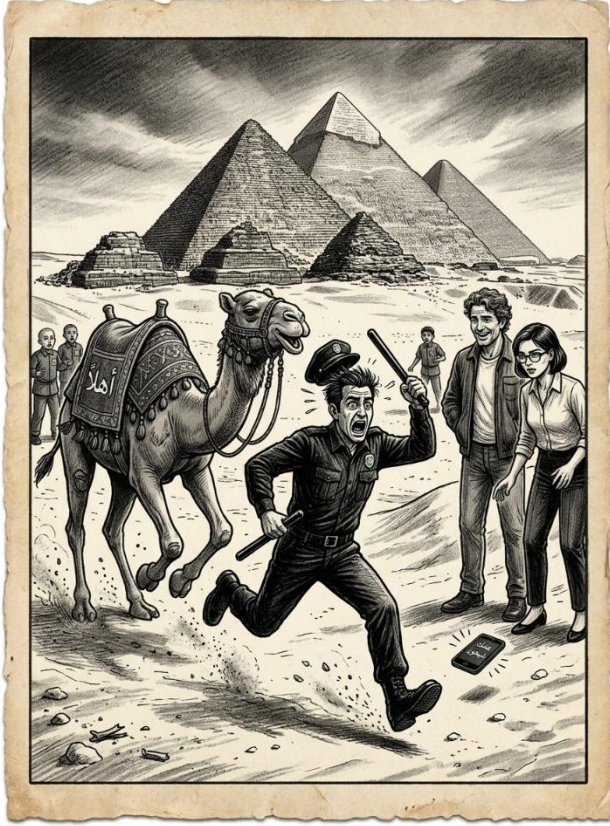
عاصم (بصوت مخنوق):

— حد يمسك الجمل ده!

البدوي (من بعيد، بهدوء):

— ده مش بيعضّ. ده بيحب كل الناس.

فجرى عاصم ظن الجمل أنه يلاعبه فجري خلفه.



جرى قائد الحرس، بقميه الأسود وعصاه التي تقفز في حزامه،
بين السياح والباعة، وخلفه جمل يهرول وراءه برشاقة.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

ثم انفجر أحدهم ضاحكاً. كان الولد رقم ١٧.

ضحك ملء فمه، بصوت خرج منه كأنه خرج من تحت الأرض.
وضحك الصف كله بعده، دون أن يأمرهم أحد، وبدا لثوانٍ أنهم
أطفال.

ثم التفت زيدان. فتوقف الضحك كما لو أن أحداً أغلق صنبوراً.
وأثناء الجري، سقط من جزمة عاصم شيء أسود على الرمل،
واهتز.

انحنى أنجيلا والتقطته. كان هاتفاً صغيراً، بلا لوحة، ومسجل
عليه اسم واحد: «عمّك شيخون». رنّ ثلاث مرات ثم سكت.
وصل عاصم إليها لاهثاً، وشعره منكوش، وانتزع الهاتف منها،
وعينه كبيرتان.

عاصم:

— ده تليفون شغل!

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنجيلا (ببراءة):

— واضح.

وتركها وعاد إلى زيدان خطوات واسعة، وقد نسي أن يعدّل
جزمته. وكتبت أنجيلا في هاتفها كلمتين: «عاصم — عمّك
شيخون».

* * *

على طريق العودة، مرّت القافلة بمزرعة شيخون.

مزارع كبيرة، وصفوف من النخيل المنخفض، وأطفال بالزي
الأزرق منحنون بين الأشجار، يقطفون التمر ويضعونه في
صناديق.

وعند مدخل المزرعة لافتة ضخمة: «المحصول لا يُباع إلا
للشركاء».

أنجيلا (من نافذة سيارتها، بالإنجليزية):

— ليه مش بيبيعوا يعني لأي حد؟

وكان مضبوط يركب معهم لتسجيل الحسابات، فمال إلى الأمام،
وتكلم بصوت لا يسمعه غير من في السيارة.

مضبوط:

— من فترة كبيرة، زيدان بعث لشركة هولندية شحنة تمر،
وظهر فيها مبيد أعلى من المسموح بخمس أضعاف. الأوروبيين
رفضوها في الميناء، ورفعوا قضية كمان.

أنجيلا:

— واتحكم فيها؟

مضبوط:

— اتأجلت أربع أشهر مرة. مرة عشان الخبير ما جاش، ومرة
عشان الشاهد، ومرة عشان المحكمة ما لقيتش الملف.

أنجيلا:

— وبعدين؟

مضطرب:

— بعد عشر سنين ما بقاش حد في الشركة فاكّر ليه رفعوا القضية. قالوا: مفيش حكم، مفيش تجارة. وبطلوا يشتروا منّا تاني. ومن ساعتها ما حدش بيشتري غير شيخون وسعداوي وولاد عمهم. بنص السعر تقريباً.

جون:

— طب وعلب «الأيّام» اللي شوفناها إمبارح؟ الأوروبيين بيشتروا برضه!

مضطرب:

— من شيخون. هو بيعبّي في علبه بتاعته ويبيع لهم باسمه. والعلبة قيمتها زادت عشان عليها صورة يتيم من عندنا.

أنجيلا (بهدهوء):

— يعني الغرب بيشتري من الدار برضه. بس من خلال الوسيط.
والدار بتاخذ ملاليم طبعاً.

مضبوط (ينظر إلى النافذة):

— نسبة الدار عندنا ٤٠٪ بس.

* * *

في خيمة واسعة من القماش الأبيض في قلب المزرعة، وُضعت
صواني التمر والشاي، وجلس شيخون على وسادة عالية،
وسعداوي إلى جواره يلعب بهاتفه، وزيدان يجلس على طرف
الصف.

شيخون (بدفء):

— تعال يا نوح. اتفرج على الأرض معاً شوية.

مشيا بين صفوف النخيل، وسار شيخون ببطء، ومسبحته تتحرك
بين أصابعه.

شيخون:

— إنت متعلم يا نوح. بتفهم في اللي إحنا ممكن نكون ما بنفهمش
فيه. زيدان ده راجل طيب، بس ما بيعرفش يكتب اسمه من غير
ما يغلط.

نوح:

— حضرتك عايز إيه؟

شيخون:

— عايز الدار تتعدل، وإنت اللي هاتعرف تعدلها. تدير أنت الدار
وإحنا ندعمك.

توقف نوح.

نوح:

— أديره؟

شيخون:

— أيوة يا بابا... أنت تستاهل اللقب أنت مش عارف أنا بحبك
أزاي ده أنا عرفت أنهم في لندن مكنوش ناويين يكملوا المنحة
بتاعتك وقتلتهم لأ الا مستقبل أبني، واحنا مبننتهدش
ومنحتك اللي بيضغطوا عليك بيها، أنا أشتريها.

أنا أدفعلك من جيبى يا دكتور لو عايز يعني. (يضحك) المنحة
دي كلام فاضي، وإحنا بنعرف ندفع أحسن من مليون منحة.
نظر نوح إلى الصفوف التي لا تنتهي، وإلى الأطفال المنحنيين،
ثم إلى الأرض.

نوح (ببطء):

— ولو قلت مش عايز ادير الدار؟

شيخون:

— حبيبي مصلحتك مصلحتنا كلنا انا وسعداوي وفاتن وزيدان
وعبدون وكل اللي بيجبوك وانا مقبلش حد منكم كلكم مصلحته
تتأثر.

نوح:

— وعبدون...كن...

شيخون(مقاطعا)، بنبرة أخف، كمن يقول شيئاً بلا أهمية:

شيخون:

— وبالنسبة للبدر، نسيبه في حاله بقي.

بتحفر في الماضي ليه أنت عايز تلوث سمعتك يا ابني اللي ظلم
اللي تحت دول ابوك إبراهيم ولو خرجوا أول حد هايكلوه أنت

أحسنّ نوح بشيء في صدره لا يشبه الغضب.

نوح (بعد لحظة):

— هفكر.

ابتسم شيخون، وربّت على كتفه، ولم يزد.

وعلى حافة الخيمة، وقفت أنجيلا ترقبهما من بعيد، وفي يدها
كوب الشاي الذي لم تلمسه.

* * *

في سيارة أجرة سوداء في لندن، قرأ عبدون الرسالة على هاتفه
للمرة الخامسة: «نخطركم بقرار إيقاف احترازي...».

ضغط على اسم، وانتظر.

ويتمور (من السماعه، برقة):

— دكتور عبده، أفهم قلقك. لكن الجامعة جهة مستقلة، وليست
لي سلطة عليها.

عبدون:

— انتي بتتكلمي مع عبدون! الكلام ده يتقال في التلفزيون مش
ليا أنا!

ويتمور:

— أنت مستشار عندنا في بند التمويل. لست موظفاً في الجامعة.
(بعد لحظة) وللأمانة، البند الرابع عشر يحمي المؤسسة، لا
الأفراد.

عبدون:

— والمعلومة دي لسه عارفها دلوقتي مهو بقالها سين بتحمي
الأفراد!

ويتمور:

— لا أتذكر أ هذا حدث. (صمت) وغالباً سيُطلب مني ألا أتذكر.
مع السلامة يا دكتور.

أغلقت الخط.

* * *

وفي خيمة المزرعة، خرج زيدان إلى طرف الخيمة، يرد على الهاتف بوجه يحاول ألا يظهر عليه شيء.

زيدان:

— أيوه يا دكتور؟ صوتك مش كويس.

عبدون (من لندن):

— الجامعة وقفنتي.

ضحك زيدان ضحكة قصيرة.

زيدان:

— وقفوك؟ أحمد ربنا لو الانجليز وقفوك يبقى عملت حاجة كبيرة أوي ولو كنت عملتها في مصر كنت اتقتلت.

عبدون:

— زيدان، نوح لازم يرجع حالاً. هاتفلاوض معاه يسكت الحراباية
صحبتة وكمان لو الملف اللي معاه اتفتح عندك تبقي المصيبه
بالنسبالي كبيرة أو هنا وهناك...

زيدان:

— الواد قاعد في خيمة شيخون بيشرب شاي. (بيتسم) شيخون
مش سهل أطمئن هيتصرف أكيد.

صمت طويل على الخط.

عبدون (بصوت منخفض):

— شيخون؟

زيدان:

— وسعداوي. وولاد عمنا قالوا الأحد. (ثم يسمع صوتاً خلفه)
استنى...

كان شيخون واقفاً على بعد ثلاثة أمتار، يبتسم.

شيخون:

— بتكلم مين يا زوز؟

زيدان (بخفي الهاتف وراء ظهره):

— ده... السوق.

شيخون:

— السوق بيسأل عني؟

زيدان:

— لأ، بيسأل عن التمر.

ضحك شيخون، ضحكة هادئة طويلة، ولم يتحرك.

* * *

عند الغروب، كانت فاتن تعجن على الطاولة الرخامية في مطبخ الدار، ونوح جالس على صندوق خشبي يتابع يديها، وبجواره أنجيلا تمسك كوب شاي.

نوح (بصوت واطي):

— ماما، التليفون...

فاتن (مقاطعة دون أن تتوقف عن العجن):

— قلت لك ما تسألش.

وفجأة انفتح الباب. دخل رجلان بسترتين سوداوين، وخلفهما عاصم، وعيناه تجولان في المطبخ كمن يعدّ الأواني.

الحارس:

— تفتيش يا حاجة. أوامر بابا.

فاتن:

— تفتيش إيه في مطبخي؟

عاصم:

— أوامر يافاتن ها نقول لأ مثلاً.

وضع الحارس يده على أول جرة: الأرض. ثم العدس. ثم اقترب
من جرة الدقيق، وانحنى ليرفع غطاءها.

تجمّد نوح. وضعت أنجيلا كوبها على الطاولة ببطء. ولم ترفع
فاتن رأسها، وظلت يداها تعجنان بالإيقاع نفسه.

فاتن (بهذوء):

— اتفضل. (تتوقف لحظة) بس الدقيق ده عيش بكرة للدار كلها.
لو وقع منه حاجة على الأرض، أنت اللي هتشرح لبابا ليه العيال
جاعت.

توقفت يد الحارس على الغطاء. نظر إلى عاصم.

كان عاصم ينظر إلى فاتن، ثم إلى الجرة، ثم إلى نوح. وطال
نظره ثانيّتين أكثر مما ينبغي.

عاصم:

— سيبك. الحل سليمة.

وخرجا. ولم تتوقف يد فاتن عن العجن إلا حين ابتعد وقع الخطى،
فانهارت أصابعها فوق العجين، ترتجف.

أنجيلا (بالإنجليزية، همساً):

— عاصم كان قاصد يسيبها.

نوح (بالإنجليزية):

— ليه؟

أنجيلا:

— مش عارفة. بس ده تاني حارس النهارده يخدمنا من غير ما
نطلب في حاجه مش مفهومة.

فاتن (بصوت مكسور، لنوح):

— ما تكلمنيش على التليفون ده قبل الفجر. سمعت؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ولم يفهم نوح لماذا الفجر.

وفي تلك اللحظة، من خلفهم، جاء صوت يضحك قبل أن يظهر صاحبه:

— فين الواد؟ فين آخر العنقود؟

دخل رجل في الساعة والثلاثين، قصير القامة، عريض المنكبين، وجهه محروق بالشمس ويده مشققتان. على كتفه تراب، وفي يده زجاجة بلاستيك قُطع قاعها.

سالم:

— نوح! أنا سالم! فاكرني؟

نوح (بيتسم بإرباك):

— طبعاً فاكرك. بس ما كنتش بشوفك كثير وانا بكلم ماما.

ألقى سالم كيس كان في يده، وضمّه إلى صدره، وضرب ظهره بكفين كأنهما مجرقتان.

سالم:

— طبعاً مشوفتيش كتير أنا شبه مش عايش هنا في الدار! من ساعة ما اتعلمت أعايش لوحدي في الصحرا أنا وسعيد، وبقي عندي مهارات ده وهي فاتن لسه حامل فيك، وزيدان شاف إن وجودي في المزرعة مفيد أكثر.

أنجيلا (تمسك الزجاجة من يده تقلبها بين أصابعها):

— ده فلتر؟

سالم:

— فلتر من اختراعي.

نوح:

— أيوة إنت اللي بنيت السور مع سعيد عند البركة أنا عارف قصتك من أول ما رفعت العصايا تخوف سعيد عشان يمشي لحد ما كلت الغزالة صحبتته (وضحك ضحكة من القلب)

سالم(مازحاً):

— ياسلام هو أنا كنت الغزالة لوحدي هما حكولك إيه ياواد؟
حكولك طب أن إحنا اللي جمعنا أخواتنا اللي أتفرقوا في الصحرا
واحد واحد.

نوح:

— طب أشمعى أنت اللي روحت المزرعة؟ ما كان سعيد أولى
علي الأقل هو الكبير؟

ضحك سالم ضحكة طويلة، وضرب على الصندوق.

سالم:

— سعيد؟ سعيد مبيعرفش يعمل حاجة غير إنه يفكر ويتكلم.
ووقت الفعل ما ييقاش في الحياة أصلاً. سعيد الكبير بتاعنا بعد
زيدان طبعاً... بس مش فالح غير في القرية والخاز باز بتاعته.

نوح:

— أيوه بقى، إيه الخازباز دي؟

وضع سالم الكيس، وأخذ يضحك حتى دمعت عيناه.

سالم:

— والله ما حد فاهمها غير سعيد. بس كلنا متأكدين إنها شتيمة

في زيدان. وخالك سعيد دمه خفيف وهو بيقولها.

أنجيلا (فجأة، بجدية كاملة):

— أنا لازم أسمعها قبل ما أمشي.

نظر إليها سالم بدهشة.

سالم:

— أنتوا مش قاعدين معانا حبة؟

أنجيلا:

— هما عشر أيام عدي منهم يومين.

وفي الخلف، ابتسمت فاتن لأول مرة منذ الصباح.

* * *

في الليل، نزل زيدان إلى البدروم.

نزل وحده، ووراءه بخطوتين عاصم، يمسك المصباح، وعيناه على ظهر سيده.

أخرج زيدان المفتاحين، وفتح القفل الجديد، ثم القديم، ثم فتح النظارة الصغيرة.

زيدان:

— منى.

جاء صوتها من الظلام، متعباً لكن ثابتاً:

منى:

— لما تنزل بنفسك، يبقى الموضوع كبير.

زيدان:

— ابن فائن هنا.

منى:

— عارفة.

زيدان (بصوت خافت):

— عندي ليكي عرض لو سألك، تقولي له إنك قتلتني نوران
وبمجرد ما يرجع لندن ها يطلع عفو ليكي.

منى:

— وأقوله إيه ثاني؟ إنك قتلت بكر؟

ساد صمت. وأضاء المصباح، في يد عاصم، وجه زيدان نصف
إضاءة.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

زيدان:

— إنتي ما أتعلمتيش حاجة من عشرين سنة لسه مش فاهمة الدنيا
بتمشي أزاي.

منى:

— فهمت كل حاجه يا زيدان لكن أهم حاجه بالنسبالي دلوقتي
إنك بتخاف من عيل عنده عشرين سنة. (ثم بتأنّ) وفهمت إنك
ناقص.

زيدان:

— أخاف!!! يا مني قعدتك الطويلة هنا نسيتك مين زيدان أقولك
ابقي خلي فاتن تفكرك عارفة فاتن ولا ابعتها لك تتعرفوا علي
بعض من جديد براحتكم.

أغلق زيدان النظارة بعنف. وقف لحظة يتنفس. ثم التفت إلى
عاصم، وقد استعاد صوته.

زيدان:

— من بكرة حارسين مش حارس. ولو حد من العيال قرّب من الباب، تبّلّغني.

عاصم:

— أمرك يا بابا.

وفي طريق الصعود، تأخر عاصم خطوة، وأخرج الهاتف الأسود من جزمته بإبهام مرتجف، وكتب سطرًا وأرسله: «زيدان نزل حاول يتفق مع مني معرفش هدها وطلع».

وجاء الرد قبل أن يصل إلى آخر السلم: «كويس. سيبه».

وفي الأسفل، بعد أن ابتعدت الخطوات، طرقت منى ثلاثاً على الجدار. وجاءها الجواب في اللحظة نفسها، كأنه كان ينتظر.

منى:

— سمعت؟

عبد الرحمن:

— سمعت.

منى:

— هيهدد فاتن.

عبد الرحمن:

— دي مش أول مرة.

منى:

— لو نوج وصلنا وسألنا... نقول ايه؟

عبد الرحمن (بعد صمت):

— هنجابوب يعني هنعمل إيه.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

منى:

— وفاتن؟

عبد الرحمن:

—مقدرناش نحميها لا هي ولا غيرها بالسكوت يا منى خلال
عشرين سنة، خلينا نجرب نتكلم.

هي يعني فرصه اننا يجي حد ويسألني دي بتيجي كل يوم عشان
نضييها.

منى (بصوت مبجوح):

— إنت صح. بس أنا خايفة.

عبد الرحمن:

— وأنا كمان. (يهمس) «حسبنا الله ونعم الوكيل».

منى:

— ربنا معاك يا نوح.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ولم يُمنع الراديو تلك الليلة. بعد سكون طويل طرقت منى ثلاثاً،
وطرق عبد الرحمن ثلاثاً، وعلي غير العادة طرق أحد سجناء
الزنزانة الثالثة طرق ثلاث طرق.

* * *

على سطح المبنى، تحت سماء بلا أضواء، جلست أنجيلا ونوح
وجون على حافة السور، وعلى ركبة أنجيلا جهازها، مضاءً
بنافذة محادثة مغلقة.

أنجيلا:

— ساشا بعثلي. بقوا تمانية. والجامعة وقفته احترازياً.

جون:

— وقفوه؟ بالسرعة دي؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنجيلا:

— مش ده المهم في حاجه أهم أنا لازم أرجع لندن في أسرع وقت شوفلي والنبي يا جون أقرب حجز أمتي

نوح (بصوت بعيد):

— حلو بعد ما جببتينا تخلعي أنتي.

أنجيلا (تتظر إليه):

— متقلّش كل كلمة وكل حركة حصلت من لحظة ما قابلنا الدكتور عبده المجرم المتحرش ده في لندن لحد اللحظة اللي بكلمك فيها حالاً متسجله ومتصورة هابعتلك كل ده وكل الأدلة اللي جمعتها.

نوح:

— وها ترجعي ليه أنا لوحد مش قد الناس دي.

أنجيلا:

— أنا مش هاسيبك أحنأ هانفضح الناس ده هنا وهناك في المنبع
ها نشتغل خطين مع بعض بالتوازي وخطوة بخطوة كل حاجه
هانعملها سوا

نوح (بعد لحظة):

— أنا قلقان وخايف بس اللي تشوفيه

جون:

— لقيت تذكرة بكرة علي طول وحجزتلك.

نوح:

— مصدقت انت ياجون هاتسد معايا انت بقي.

نظر إليه طويلاً. ثم قال بهدوء:

جون:

— يا ابني الحاجة الوحيدة اللي لو حصلت ممكن تجيب فيها حقك
وحق اليتامي اللي هنا هي أنك متسمعش كلام أنجيلا دي هاتوديك
في داهية.

أنجيلا:

— وانت بقي اللي هاتساعده.

جون:

— لأ انا جي اتفسح وده مش مُضر.

أنجيلا:

— وانا مُضرة في ايه بقي.

جون:

— مُضرة عشان بتقولي كلام أنتي مش واخده بالك انك بتعملي
عكسه انتي والادارة هناك وزيدان هنا وشيخون في المزرعة

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وعبدون في الجامعة كلكم لو مش بتكذبوا علينا يبقوا بتكذبوا علي
نفسكم وانا صدقيني مش مهتم متزعلش دي أول مرة أقول رأي
أنجيلا:

— لأ معلش أنا عايزة أعرف حالا أنت شايفني مُضرة ليه
جون:

— عشان انتي بتعملي عكس اللي بتقوله طالما في مصلحتك أو
حتي بتخدم وجهة نظرك

يعني بتقوله محاكمات عادلة وبترفعي شعار نصدق الناجيات من
غير محاكمة بغض النظر ده ها يضر مين
أنجيلا:

— وانت مصدق ان عبدون برئ

جون:

— لا أنا مصدقك أنتي في أن لازم محاكمات عادلة والمحاكمات دي اللي تقولنا نصدق مين ومنصدقش مين مش ده كلامك،

وسيبك من ده أنتي جبتي منين الحق في أنك تسجلي وتصوري كل حاجة حصلت معنا مش هاقولك من غير أذننا ده حتي من غير ما تعرفينا.

جون:

— عايزة تاني ولا كفاية أفكرك طيب في رأيك في المواشي اللي كانت راكبة الأتوبيس الأصفر.

أقولك علي حاجه أنتي مش مسافرة سافري ياستي ونوح يستمتع بحضن تونة وانا ها أتفسح ونتقابل بعد أسبوع ولا ١٠ أيام في لندن.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وعلى سلم السطح، سمعوا وقع خطوات خفيفة. التفت ثلاثتهم.
كان مضبوط، بدفتره تحت إبطه، يقف عند أول درجة ويتلفت
وبجواره فاتن.

فاتن (بهمس):

— أنا سمعتكم على فكرة جون صاحبك ده بيفكرني بسعيد وهو
في سنكم

مضبوط (بهمس):

— سيبكم من الكلام ده دلوقتي

اقترب من نوح، ووضع كفه على كتف نوح، وخفّض صوته حتى
كاد يضيع في الهواء.

مضبوط:

— اللي إنت بتدور عليه... مش عندي. عندي الأرقام بس.

لكن اللي شاف كل حاجة وحافظ كل حاجة. (يتلفت مرة أخرى)
اسأل زهرة.

ثم نزل، قبل أن يسأله أحد، وكان صوت نزوله على السلم هو
الإيقاع الوحيد في الليل.

* * *

عند الفجر، خرجت سيارة سوداء من بوابة الدار تحمل أنجيلا
ونوح وجون. وفي المقعد الأمامي جلس عاصم، «لمرافقتهم
حرصاً على سلامة الضيوف»، كما قال زيدان وهو يلوح من
الشرفة بابتسامة تشبه الاعتذار.

وبعد نصف ساعة، سدّت الطريق سيارتان نصف نقل، ووقف
رجال بالعصي في صف واحد.

عاصم (دون أن يلتفت):

— معلىش تفتيش.

أنجيلا:

— لأ محدش من حقه يفتشنا.

عاصم (بالنبرة نفسها):

— دي أوامر البابا.

فتح الباب، وانحنى إلى الخلف، وسحب حقيبتها من بين قدميها.
أخرج الجهاز، ثم قرصاً صلباً أسود صغيراً.

عاصم (يرفعه):

— ده إيه؟

أنجيلا (بهدهوء):

— الهارد فاضي يا عاصم بيه هو أنا عبيطة الداتا مش عليه.

عاصم:

— أمال فين؟

أنجيلا:

— على سيرفر في لندن من إمبراح بالليل مهو انا عارفة أنكم
مراقبين أنفاسنا بكاميراتكم فعلت حسابي.

وقبل أن يرد عاصم، اهتز في جزمته شيء. أخرج عاصم الهاتف
الأسود، ونظر إلى الشاشة، ثم ابتعد خطوات، وتكلم بصوت لا
يصل.

عاصم:

— أمرك يا عمّ... أيوه... حاضر.

عاد وقد شحب وجهه. وضع الهارد والجهاز في الحقيبة، وناولها
إياها.

عاصم:

— اتفضلي. التفتيش كان لسلامتك.

أنجيلا (وهي تأخذها):

— تحياتي لعمّك شيخون يا عاصم.

تجمّد عاصم. أغلق الباب بهدوء، وعاد إلى مقعده، ولم ينطق بكلمة حتى المطار.

* * *

في صالة المغادرة، وقف ثلاثتهم بعيداً عن عاصم، الذي ظل عند الباب يتظاهر بتفحص هاتفه.

نوح:

— شيخون عرض عليا أدير الدار. ويدفع هو مصاريف الجامعة والإقامة والسفر لو المنحة متجددتنش، وأخذ الدكتوراه بقي. (يخفض عينيه) وقالت له هفكر.

أنجيلا:

— عارفة. كنت سامعاكم وأنتوا بتتكلّموا.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

نوح:

— أسمعها كنت براقبكم مش سامعاكم ومقولتيش حاجة ليه.

أنجيلا:

— استنيت تقولها إنت.

جون:

— يا نوح طالما مقولتش لينا وقتها يبقى أنت مش حاسم ردك أنه لا.

نوح:

— اتغريت يا أنجيلا. للحظة. بس لما فكرت في اللي تحت...

أنجيلا:

— مش عيب إنك اتغريت. العيب إنك مفكرتش بسرعه وفهمت اللعبة.

(تتنفس) شيخون مش بيساعدنا ده شخص مش سهل. هو بيختار مين اللي يقع. عندك مثلا هو سابني أمشي بالأدلة عشان حب يوقع زيدان فيضربه بإيدي أنا، وأنا مش ها حارب لمصلحة حد. نوح:

— ولو وقع زيدان، شيخون مجهز البديل. عاصم.

أنجيلا:

— وده بالضبط اللي مش هنسمح بيه. المعركة بتاعتك يا نوح مش زيدان بس. زيدان وعاصم، وشيخون وسعداوي، واللي بيغذّوهم من أوروبا كل العصاةة من الآخر. نوح:

— معركة صعبة أنا توهمت مش عارف حتي هنبدأ منين؟

أنجيلا:

— عبدون أولهم. بس مش آخرهم. المؤسسة اللي بتدفع وبتغمض عينيها، والجمعيات اللي بتقبض باسم كل يتيم، والمنحة اللي بتتحول لقيد. (تنظر إليه) الناس اللي في لندن متورطين أكثر من اللي في الدار. هما اللي ضمنوا للبؤس ده يكمل عشرين سنة. ولازم تعرف كمان الأطفال الجداد اللي بتيجي الدار بتيجي منين؟

نوح (ببطء):

— المفروض الممول عارف وهو اللي بينسق.

أنجيلا:

— دار الأمل مش مجرد دار. دي شبكة.

نوح (بصوت مبجوح):

— سهل تثبت ده أنا شخصياً دليل.

ساد صمت قصير، وسط نداءات الرحلات.

أنجيلا:

— ما ينفعش تبقى دليل وإنّك لوحدك. هنجيب كل حاجة: شغل الأطفال، والعلب اللي عليها صورة يتيم، والمحصول اللي بيطلع من وسيط، وعبدون وشهادات الناجيات. كلها ملف واحد.

نوح:

— أحنا ليه منروحش على لندن ونعمل حملة كبيرة ونفضحهم ونفضح الممولين اللي رافعين شعارات حقوق الطفل ليل نهار؟

أنجيلا (بمرارة):

— أنا منهم وعارفاهم. الشعارات على الحيطان، والشيكات في الدرج. لو الضحايا أنجليز كانت اتقلبت. لكن أيتام ومن مصر؟ محدش هيسأل.

نوح:

— لازم العالم يعرف إن اللي بيدعم زيدان عشان مصلحته هو الغرب.

نوح (يشدّ على يدها):

— متفقين. الشبكة كلها. مش واحد واحد.

نادى المكبر اسم رحلتها. شدّت حقيبتها، ثم توقفت، ورجعت خطوة.

أنجيلا:

— وحاجة أخيرة. كان نفسي أسمع الخازباز بتاعة سعيد دي. والنبي لما يقولها، صوّرها وابعثلي الفيديو. (تلفت إلى جون) وابقى استأذنه الأول قبل ما تصوّر.

* * *

في الليل، عاد نوح من المطار، وقد أنهكه كل شيء إلا رأسه. جلس على سريره في الظلام، ولم يستطع أن ينام. ثم سمع طريقة خفيفة على النافذة. كانت زهرة، واقفة في الممر، وفي يدها دفتر بغلاف أسود.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم الي مابياسوش

ولأول مرة، رفعت عينيها إلى عينيهِ، ولم تخفضهما.

زهرة:

— على فكرة أنا الحساب اللي أسمه (واحد_اثنين_ثلاثة) اللي كانت بيعت لك وانت في اللايف.

جلس نوح في مكانه.

نوح:

— إنتي اللي كتبتي في اللايف.

زهرة:

— أنا. (تدخل خطوة) من عشرين سنة، وأنا بشوف حلم واحد بيتكرر كتير أوي. بشوفك بنفس شكلك دلوقتي بتطلع عبد الرحمن

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

ومنى وباقي إخواننا من البدروم وبترجع الحق لأصحابه وترحم
الصغيرين اللي بقوا شغالين بالصخرة. وبشوفك بطل بتعمل كل
ده من غير ما حد يتأذى. حتى زيدان.

نوح (بصوت مبجوح):

— أنا حتى مش عارف أشوف اللي في البدروم من ساعة ما
جيت يا زهرة. الحرس والقفلين وعاصم...

زهرة:

— لأ. دي أسهل حاجة.

نوح:

— أسهل حاجة إزاي؟ إنتي مش شايقة الوضع؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

زهرة:

— أنا بقالى عشرين سنة مش برتب لحاجة غير إزاي أخليك
تنزل البديروم أما ترجع الدار. (تمدّ يدها) تعالى ورايا.

مشى نوح خلفها في الممر المظلم، وهي تعدّ خطواتها بصوت لا
يُسمع: «ثلاثة وأربعين». ثم الساحة، ثم السلم القصير، ثم الباب
الحديدي والكلمة الذهبية فوقه.

وعند الباب وقف حارسان، هما الاثنان اللذان زادهما زيدان
بالأمس. نظر أحدهما إلى زهرة، ثم أدار وجهه، وناولها مفتاحاً
دون كلمة.

زهرة (همساً، وهي تفتح القفل الجديد ثم القديم):

— مش قولتلك دي أسهل حاجه ما يجبها إلا اقصرها.

نوح:

— وإنتي كنتي مجهزة كل ده.

زهرة:

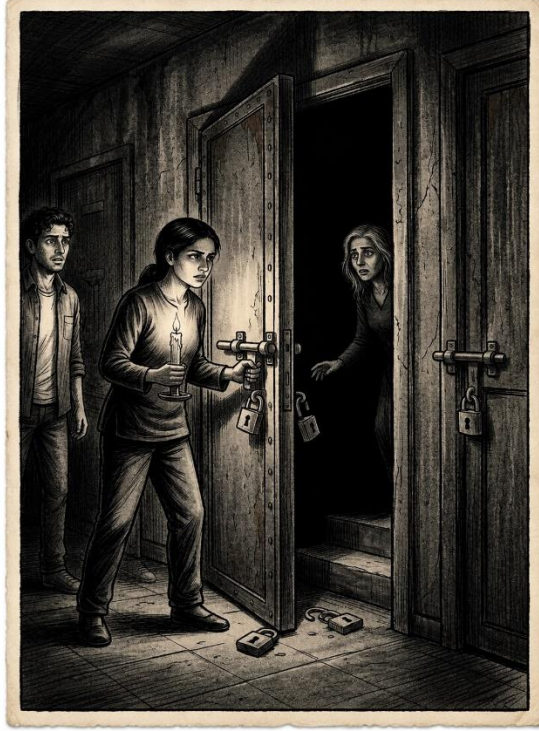
— من عشرين سنة وحياتك وكل ما يتغير حارس ابدأ من جديد
عشان أما توصل يا نوح تبقي كل حاجه جاهزة.

فُتح الباب، وصعد منه هواء عفن بارد. نزلا السلم، وكل درجة
تأخذ من نوح شيئاً. وعلى الجانبين الثلاث أبواب الحديدية

توجه نوح ننحز الزنزانة التي كُتب عليها سجن

الممر مظلم، سمع وراءه صوت حارس يتراجع ليوسع الطريق،
ويعرف أن كل شيء قد جُهِز له فعلاً.

انفتح الباب الأول بصوت صرير طويل.



وفي العتمة وقفت امرأة في الثامنة والثلاثين، شعرها قد شاب قبل
أوانه، وعيناها واسعتان. لم تتكلم. نظرت إليه كمن ينظر إلى ما
يستحيل أن يحدث.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم الي مابياسوش

ثم اندفعت.

لم يرها نوح قبل ذلك أبداً. وحين التقى جسداهما أحسّ بحضن يشبه حضن فائن، لكنه ليس حضن أم. كان حضن غريق، قضى سنين وهو يحلم بالقشة التي سيتعلق بها، وها قد حدث.

منى (بصوت يتحشرج على كتفه):

— أنت... أنت جيت.

ثم رفعت رأسها، والتفتت إلى الحائط الذي يفصلها عن الزنزانة الثانية، وصاحت:

منى:

— يا عبد الرحمن! اصحى! نوح هنا! يا عبد الرحمن! اصحوا
كلكم!

لا جواب.

مدّت يدها، وطرقت على الحائط مرتين.

وبعد ثانية طويلة، جاءها الرد من خلف الحجر: ثلاث طرقات،
ثقيلة، متأنية.

نوح (بصوت يكاد يختفي):

— هو ده الصوت اللي كنا بنسمعه فوق.

ثم، من الزنزانة الثانية، طرقات أخرى، سريعة، متلاحقة. ومن
الثالثة، ثلاث، ثم ثلاث، ثم أخريات بلا عدد، كأن كل من في
البدروم قرر أن ينطق للمرة الأولى.

الفصل السابع

الخازباز... خائفاً

لم يعرف نوح كم مرّ من الوقت وهو ملتصق بحضن خالته منى.
كان الطرق قد ملأ المكان، يتردد على الجدران والأرض
والسقف، حتى بدا أن البدروم نفسه يتنفس.

زهرة (بصوت خافت حاد):

— كفاية! لو سمعوه فوق...

منى (دون أن تترك نوح):

— خليهم يسمعوا. خمسة وعشرين سنة ومحدثش يبسمع.

مشت زهرة إلى الباب الثاني، وفتحت النظارة الصغيرة. وفي
العممة، لمع زوج من العيون الواسعة، ملتصقاً بالفتحة.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

عبد الرحمن (ينظر إلى نوح، وصوته يرتعش):

— بابا

تجمّد نوح.

عبد الرحمن:

— (يصرخ في العتمة) بابا رجع! أنا قلت لكم هيرجع! أنا قلت لكم!

منى (بحدة قاطعة):

— يا عبد الرحمن. ده نوح.

عبد الرحمن (لا يسمعها):

— نفس الوقفة... نفس العينين... يا بابا، أنا فضلت مستتي.
(يتوقف فجأة) إنت... نوح ابن بابا صح.

نوح (بصوت ضعيف):

— أنا نوح.

ساد صمت طويل. ثم انكسر صوت عبد الرحمن، لا بالبكاء، بل
بسؤال:

عبد الرحمن:

— هو بابا لسه عايش؟

نوح:

— ما أعرفش.

عبد الرحمن:

— طب هيرجع.

شدّت منى نوح من ذراعه برفق، ونظرت في وجهه على ضوء
الشمعة الوحيدة

منى:

— فيك شبه أبوك. (تبتسم بمرارة) حاول ما تبقاش شبيهه.

وفتحت زهرة نظارة الباب الثالث، فرأى نوح أربعة أشخاص
يجلسون حول بقايا شمعة، وبينهم رقعة طاولة مرسومة
بالطباشير على الأرض، وأغطية زجاجات بدل الحجارة

عوض (يقفز واقفاً، شاب في الثلاثينيات بمريلة طباخ متسخة):

— الحمد لله! مش قلت لكم مش ها نطول إحنا معملناش حاجه!

نوح:

— انتوا مين ومحبوسين ليه؟

ولد في الخامسة عشرة، يضم ركبتيه إلى صدره، رفع يده كأنه
في فصل:

طارق:

— أنا طارق. هنا من ثلاث أيام. إهانة المساعد الذكي.

نوح (يكتم ضحكته):

— إهانة؟

طارق (بفخر):

— اتحبست عشان اتكلمت وحش عن بابا بوت.

عوض:

— وأنا أسبوعين. عشان كتبت شكوى إن الأكل ناقص.

الولد الثالث:

— وأنا اتحبست عشان ضحكت في الطابور.

زهرة (من وراء نوح، بهمس):

— كل اللي في الزنزانة الثالثة دي نفس الوضع. كلهم مدد
قصيرة. زيدان بيحبسهم أسبوع ولا أسبوعين وبعدين بيطلعهم
عشان الباقيين يخافوا.

حاول نوح أن يمدّ يده إلى القفل، فأمسكت منى معصمه.

منى:

— لأ.

نوح:

— ليه لأ؟ الأبواب مفتوحة، والحرس معانا...

منى:

— زيدان عارف أنك ممكن تعمل كدة وساييك بمزاجه أكيد في حاجه غلط ولو خرجناهم من غير أي ترتيبات أو خطط من ورا ضهره، يبقى بنعمل اللي زيدان عايزه زيدان محتاج حد يهرب عشان يضربه ويخوف الباقي. أنا مش هديله الهدية دي.

نوح:

— طب ده اللي عايزه زيدان، إنتي عايزة إيه؟

منى (تنظر إلى السقف حيث الطرق ما زال يتردد):

— الطرق ده. سيبه يكمل. أنا عايزة الدار تصحى. وعايزاهم يطلعوا من الباب اللي دخلوا منه، قدام الكل غصب عن زيدان ده ها يكسر هييته وهيشجع اللي فوق قبل اللي تحت.

ومن الأعلى، فوق رؤوسهم، سُمع صوت باب يُفتح بعنف، وصرخة بعيدة، وبعدها صمت من النوع الذي يسبق العاصفة.

في عنابر الأطفال العلوية، كانت الأنابيب المعدنية تحت الأسرّة تهتز.

طق، طق، طق.

جلس ولد على سريره، ووضع كفه على الحديد.

الولد:

— الخطب في البدروم النهاردة أعلي من أي يوم ثاني.

الولد الذي بجواره (دون أن يفتح عينيه):

— ملناش دعوة.

ولكن الحديد استمر، ومن سرير إلى سرير، من عنبر إلى عنبر، بدأ الأولاد يجلسون.

وفي الطابق الأعلى، في غرفة البابا ذات الجدران الزجاجية، فتح زيدان عينيه.

لم يكن زيدان قد نام. كان مستلقياً ينظر إلى السقف نصف نائماً، سمع في خيالاته صوته يخرج من فم عبد الرحمن يتمم بكلمات غاضبة لم يستطع فهمها.

نهض مفزوعاً وقف على النافذة.

في الساحة، كانت الأضواء تُضاء واحداً بعد واحد، ومن العنابر ينزل الأطفال بالزي الأزرق، صفّاً بعد صف، لا يتكلمون ولا يتدافعون. وعلى ضوء القمر تحت شجرة الكافور، اجتمعوا في دائرة واسعة صامتة، كانت أعدادهم كبيرة عيونهم جميعاً تتحرك بين غرفة البابا ومدخل البديروم.

وعلى طرف الدائرة، عند هيكل السيارة، وقف سعيد، وخلفه سالم ومظبوط وأنس، وفاتن بثوبها الأبيض، تمسك بيد طفلة صغيرة

وعند باب البدروم المفتوح، يتسرب منه ضوء شمعة، كان الدخان ينبعث كأنفاس.

عدّ زيدان، دون أن يدري، بأصابعه على زجاج النافذة.

طرق من تحت الأرض. همسات تتنفق. دائرة حول شجرة الكافور. أولاد ينظرون إلى باب البدروم.

كل شيء كان يشبه ما حدث يوم الثورة علي بابا ابراهيم. كل ما فعله هو بنفسه، قبل خمس عشرين سنة، في هذا المكان نفسه.

وفجأة أدرك، وهو يرتجف، ما كان ينقصه ليفهم:

أن هذه المرة لو تكرر المشهد لن يكن هو الذي يقف عند الجدار ويحرك الجميع لكن في أحسن الظروف سيكون مكان البابا إبراهيم محاولاً الهروب.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي ماييأسوش

كان هو الذي يقف في المنتصف، تحت الكافور، والدائرة تضيق.

زيدان (بصوت مبجوح):

— أنا مش إبراهيم.

دخل عاصم دون أن يطرق.

عاصم:

— الحرس في الساحة يا بابا. والعيال واقفين. أتصرف أزاى.

زيدان (دون أن يلتفت):

— العصي.

سكت عاصم.

زيدان:

— قلت لك العصي.

عاصم (بصوت منخفض):

— مش هينفع يا بابا. أنت مش شايف العدد، وبعدين... في حرس
مش عايز يمد إيده أنا مش هاجازف وأقول لولادي يضربوا
أخواتهم.

عاصم (بعد أن سكت قليلا):

— زيدان كلم شيخون وشوف هاتعمل إيه ولم الدور
زيدان:

— زيدان حاف أول مرة تقولها من غير بابا

النفث عاصم (بثقة):

— زيدان مش وقته الكلام ده أنت في إيه ولا في إيه
ثم ابتسم. ابتسامة غريبة، هادئة.

زيدان:

— متفرحش أوي يا عاصم ده عملتها قبلك اللي في خيالاتك أنت
وشيوخون مش هايحصل.

تركه عاصم في منتصف حديثه ونزل إلى الساحة

وقف زيدان وحده في الغرفة الزجاجية، وفي أذنيه صدى جملته
الأخيرة: «زيدان حاف».

ثم تغيّر الهواء.

لم يعد الضوء الذي يتسرب من النافذة ضوء القمر. صار ضوء
نهار قديم، و صار صمت الدار صمت يوم لا يريد أن ينتهي.

وعلى كرسي البابا، أمامه، جلس رجل متعب، يمسك سماعة
هاتف بلا حرارة، ويرفع عينيه إليه:

عبدون (بصوت لا يسمعه غير زيدان):

— أول مرة تقولِي «عبدون» حاف كده.

زيدان الآن يرى نفسه، قبل خمسة وعشرين سنة، شاباً بوجه مرهق وعينين غائرتين، يقف بلا احترام أمام مكتب البابا، ويقول ببرود:

زيدان (الأصغر):

— وأنا من إمتى بقيت بقولك حاجة غير عبدون حاف؟

تراجع زيدان خطوة، فاصطدم ظهره بالزجاج.

فهم. التاريخ يكرر نفسه، والمقعد المقابل صار مقعده هو.

وفوق خزانة الملابس، مدّ يده، فوجد الحقيبة السوداء الفارغة في مكانها. المكان نفسه الذي وضع فيه عبدون حقيبته قبل أن يهرب.

زيدان (بصوت مبجوح):

— لسه فيه وقت.

وعرف ما عليه أن يفعله: أن يكسب وقتاً بالعمو، وأن يملأ الحقيبة، وأن يترك الدار قبل أن تضيق الدائرة. والهامر الذهبي واقف تحت النافذة، يلمع كأنه ينتظره.

* * *

عند فتحة البدروم، وقف نوح ومنى وزهرة، وراءهم ظلال الأربعة. وفي الأعلى، على الدرجات، رأى نوح الدائرة الصامتة، وعيون الأطفال المرفوعة إليه.

نوح (بصوت واطي):

— إيه الدوشة اللي فوق دي هو إيه اللي بيحصل؟

منى:

— أنت بتسألني انا احنا بقالنا عمر هنا (ثم تشير إلى زهرة)
الارووبة اللي جنبك هي بس اللي ممكن تكون فاهمة.

زهرة (بصوت مرتبك، وعيناها على السقف):

— أنا رتبت إنك تنزل... ما رتبش حاجة تاني معرفش بجد إيه
اللي بيحصل.

نوح:

— يعني إنتي كمان مش فاهمة؟

زهرة:

— كنت حاسبة كل حاجة. إلا إن الدار كلها تصحى فجأة.

منى (تبتسم لأول مرة):

— ده أحسن ترتيب يا زهرة. اللي ما حدش رتبه.

وعلى طرف الدائرة، بالقرب من هيكل السيارة، كان الكبار
يتهامسون.

سالم (يلهث، وطين المزرعة على ركبتيه):

— هو إيه اللي بيحصل ومين اللي نزل العيال؟

مظبوط:

— مش أنا. أنا نزلت عشان سمعت دوشة وخبط، وقلت أتفرج.

أنس:

— وأنا نزلت عشان العيال بتتخض، وأنا ممرض.

سالم:

— وأنا جيت من المزرعة لما لقيت الأنوار مولعة من بعيد، قلت
حريقة والله.

فاتن (تمسك بيد طفلة صغيرة):

— وأنا نزلت عشان ما أسيبش الولاد لوحدهم.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

سعيد (ساخراً وهو ينظر إلى الدائرة):

— يعني كلنا اتجمعنا هنا غلط

لم يرد أحد. كانوا ستة بشر، في مكان واحد، لستة أسباب مختلفة،
يقفون حول ثورة ليس لها وجود إلا في خيالات زيدان ثورة لم
يقرر أحد منهم أن يدعو لها ولم يطلب أحد قيادتها.

وعلى الجانب الآخر من الساحة، فُتح الباب الأبيض، وخرج
زيدان.

لم يخرج مسرعاً ولا غاضباً. خرج ببطء، مبتسماً، ويده
مرفوعتان قليلاً كمن يفض نزاعاً بين صغيرين. وخلفه عاصم
من دون الحرس، ولا العصي.

زيدان (بصوت دافئ يصل إلى آخر صف):

— إيه ده يا ولاد؟ إيه الجو الحماسي ده؟ كل ده وأنا نائم؟

لا أحد ردّ.

زيدان:

— أنا كنت مجهز لكم مفاجأة الصبح. بس واضح إن نوح سبقني!

ثم مشى إلى المنصة الخشبية التي بُنيت فوق أطلال المورجحة القديمة، وصعد عليها، وقف على طرفها العالي.

رآه سعيد من بعيد، ورأى المكان الذي وقف فيه زيدان قبل خمسة وعشرين عاماً بالضبط، ففهم.

سعيد (لنفسه):

— ديجافوو كلاكيت تالت مرة.

ثم أشار بيده إلى باب البدروم، وفي صوته نبرة رجل يتحمل مسؤولية مؤلمة.

زيدان:

— وأنا قررت الليلة دي، بمناسبة رجوع نوح، إني أصدر عفو عام. عفو عن المحبوسين اللي مدتهم قصيرة. وعفو عن منى. تَلَقَّتْ الرؤوس. وسُْمِعَ في الصفوف همس مبهور، لأول مرة منذ سنين.

نوح (قادم من البدروم يتقدم خطوة):

— ده مش...

زيدان (مقاطعاً وبنبرة المتواضع):

— متقولش حاجه يا نوح.

وقف عاصم عند باب البدروم، ونظر إلى الأطفال، ثم إلى زيدان، ثم نزل إلى الممر لحقه نوح أخرج عاصم المفاتيح ببطء، وفتح كل الأبواب.

لكن الباب الثاني بقي مغلقاً. مرّ عليه عاصم بمفتاحه، ولم يُدره.

كانت منى قد وصلت إلى بابها قبل أن يُفتح، ووقفت على العتبة، شاحبة، رشيقة، ظهرها مستقيم كأنها كانت واقفة في الساحة منذ خمس وعشرين عاماً.

خلفها خرجت أربع بنات، ثلاث منهن في العشرينات، وواحدة لا تتجاوز السادسة عشرة، تمسك بيد منى كأنها أمها.

ثم الباب الثالث: عم عوض، وطارق، والولد رقم ٣٢٧، وولد رابع لم يتكلم.

طارق (يقف أمام زيدان، ويقف نبرة المراسلين، ويمدّ يده):

— شكراً يا بابا زيدان!

ضحك بعض الأطفال في الصفوف الخلفية. ابتسم زيدان، وصافحه، وتحولت اللحظة، بالنسبة لمن يشاهد، إلى مشهد من فيلم عن الرحمة.

* * *

خرجت منى من الظل إلى ضوء القمر، ومشّت في الدائرة.

لم تُسرّع. وحين مرّت بجوار جون، رفع كاميرته وهمس: «ممكّن؟»، فنظرت إليه نظرة سريعة وأومأت.

توقفت أمام المنصة الخشبية، ونظرت إلى زيدان. كانت أقصر منه بفارق ملحوظ، لكنه هو من بدا صغيراً.

زيدان (بصوت يسمعه الجميع):

— منى. أنا أصدرت قرار عفو رئاسي عنك.

منى:

— عفو عن إيه؟

ساد الصمت.

زيدان (ببتسم):

— عن اللي حصل. كله.

منى:

— العفو بيتقدّم لواحد اتحاكم يا زيدان وثبت ادانته. أنا ما اتحاكمتش. أنا اتمثّل عليا.

تجمّد وجه زيدان لحظة، ثم استعاده سريعاً.

زيدان:

— يعني عايزة تقولي إيه؟

ووقف الجميع ينتظر. كان نوح يعرف، أن ما سيُقال الآن قد يغيّر كل شيء.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وكان زيدان ينتظر من منى أن تنفجر. أن تقول: «إنت اللي قتلت بكر». أن تصرخ وتتهم، فيبدو أمام الأطفال وكأنها مجنونة حاقدة، وهو الرحيم الذي عفا عن امرأة تهذي.

وأدركت منى ذلك. فابتسمت.

منى (بهذوء كامل):

— أنا مش هارد ولا هاقول حاجة النهارده يا زيدان. كل حاجه بوقتها يا... با با

زيدان (بصوت خافت جداً):

— حقك

منى:

— هاقول اللي عندي في الوقت اللي أنا أختاره.

ثم التفتت إلى الأطفال، ورفعت صوتها بنعومة:

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

منى:

— بس لما أقول أنا ولا غيري أسمعوا كويس من غير خوف
محدث بيتضر عشان سمع حاجة اللي بيتضر هو اللي مبيسمعش.

ثم عادت إلى زيدان:

— أنا هاستفيد من اللي مسميه عفو وخارجة يا زيدان. ومن غير
شكراً.

زيدان (بنفس الابتسامة، لكن أرق):

— مميم عظيم ده كويس حاجه تاني يا أخت منى

منى:

— عبد الرحمن.

زيدان(ساخراً):

— ده حالته صعبه خاصة ده خطر يا منى وانتى عارفة مش ده
كان رأيك زمان.

منى:

— خطر ليك مش على الدار عبد الرحمن ده أنت حبسته عشان
إنت بس كنت خايف منه.

زيدان:

— طب خليني نبحث الموضوع حاجة حاجة يا منى استمتعي
يلا بحريتك وأي حاجة تاني بعدين.

منى:

— أه بعدييين

وتركته على المنصة، ومشت بين الأجساد نحو فاتن.

وعلى بعد خطوات منها، عند هيكل السيارة، وقف سعيد.

رآها قبل أن تراه. رأى المرأة التي حكم عليها بالبدرود قبل خمسة
وعشرين سنة، تمشي إليه خطوة بعد خطوة

تسمّر سعيد. حاول أن يتراجع فاصطدم بباب هيكل السيارة

ثم رفعت منى عينيها، ورأته.

شحب وجهها. لم تصرخ ولم تتكلم. تراجع جسدها نصف خطوة
كمن لمس سلكاً عازياً، وانقبضت أصابعها على ثوبها، وأدارت
وجهها بسرعة إلى فاتن، وبعد ثانية كانت في حضنها.

أما سعيد فلم يكن في مكانه. كان قد اختفى خلف هيكل السيارة،
ومنها إلى ظل الأعمدة، دون أن ينطق بحرف.

أنس (هامساً، لسالم):

— هو إيه اللي بيحصل؟

سالم:

— اللي كان لازم يحصل من زمان.

وقف زيدان، وللحظة قصيرة، شاهده نوح يتنفس. رفع يديه ثانية،
وصاح بالأطفال:

زيدان:

— كل واحد يرجع لسريره! الدار فرحانة! ناموا وأحلموا أحلام
سعيدة والصبح ها نفطر كلنا سوا ونحتفل براحتنا!

ولم يلاحظ إلا نوح وجون أن شيئاً صغيراً كان قد حدث للتو:
كاميرا زيدان المعلقة على العمود، وأخرى على الباب، وثالثة
فوق الكافور، كانت كلها مضيئة.

وأن الحفل بأكمله، من أول ابتسامة، قد جرى تصويره.

وبينما كانت الدائرة تتفتت، همس جون وهو يصوّر، بالإنجليزية،
لنوح:

جون:

— لو رحلت الهرم مية مرة، مكنتش ها عيش تجربة النهارده.

* * *

وفي لندن، وفي مكتب ساشا، وقفت أنجيلا أمام الشاشة، والحقيبة
لا تزال عند الباب. وجون يرسل لها الفيديو لقطة بعد لقطة.

أنجيلا (بالإنجليزية):

— «عفو». هو قال «عفو».

ساشا:

— وإيه المشكلة؟

أنجيلا:

— اللي ها يقفل العفو بيعترف بالسلطة. بس تعرف الفيديو ده
دليل عليه. هو اللي سجّل بنفسه لا والمؤسسة هنا في لندن نشرت
الفيديوهات بتاعة العفو أسرع من ما جون بعتهالي.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ساشا (يضحك ضحكة جافة، ويمسح نظارته):

— خمسة وعشرين سنة وبدروم، وبعد ليلة واحدة من عفو متلفز، يبقى «الإعلام هيعمله نموذج». دي أحسن هدية قدمتها لنا المؤسسة. هم اللي كتبوا اعترافهم بخط أيدهم.

وعلى مكتبه كانت الهواتف الثلاثة تضيء بلا انقطاع. رسائل جديدة من أرقام لم يعرفها.

ساشا:

— جرايد كثير نشرت خبر الإيقاف الاحترازي لعبدون الصبح. ومن ساعتها، سبعة وأربعين بلاغ. طالبات، وبنات كنّ قاصرات وقت الحادثة،

وفي محاضرة سابقة اتصلت من إدنبرة. (يرفع الهاتف) بتسأل: هو إنتو اللي بتحققوا في بلاغا تحرش عبدون بس ولا هاتحققو كمان في الفساد وفلوس ضرايب الشعب اللي المفروض تروح للأيتام وبتتوزع على المتحرش ده هو واللي زيه؟

أنجيلا (ببطء):

— محدش مننا أتكلم عن ده كنا مركزين علي التحرش بس لكن
كويس أوي البلاغ ده ها يودي التحقيقات في حته تانية.

ساشا:

— الملف بيتحول بسرعة أوي رأي عام يا أنجيلا وتوقعي
بلاغات كتير مكناش عاملين حسابها ها تظهر واضح ان عبدون
ده مصاييه أكثر مما كنا نتخيل.

* * *

في غرفة الحسابات الضيقة، فتح مضبوط الخزنة الحديدية بيد
ترتجف.

زيدان كان واقفاً وراءه، والحقيبة السوداء مفتوحة على الطاولة.

زيدان:

— الفطار الاحتفالي بخروج مني لازم بيبقي حفلة ما اتعملتش
قبل كده مهما اتصرف عليها مش مهم المهم رفع الروح المعنوية
لليتامى ... طلع طلع محتاجين سيولة.

مضبوط:

— بابا... ده كل اللي في الدار.

زيدان (بابتسامة هادئة):

— مش مهم مش مهم حط في الشنطة يلا.

أخذ يلقي حزم النقود في الحقيبة، وفتح مضبوط دفتره الصغير،
وكتب بصوت منخفض لنفسه، دون أن يلتفت أحد: «وسبعمية
ألف جنيه مصري، ومية وخمسون ألف دولار».
ثم أغلق الدفتر.

مضبوط (بصوت لا يكاد يُسمع):

— مضبوط.

وعلى أول درجة من سلم البدر، جلس عاصم، والمفاتيح في حجره، يحتق في الأرض.

اقترب نوح. كان الحماس يتدفق في عروقه.

نوح:

— إنت اللي فتحت الباب.

عاصم (دون أن يرفع رأسه):

— كنت بنقذ.

نوح:

— لأ. إنت فتحته قبل ما زيدان يخلص كلامه. أنا شفتك.

سكت عاصم.

نوح (يجلس بجواره، وينزل صوته):

— إحنا مش ضدك يا عاصم. وأنا عارف إنك زينا أنت كمان

مش مبسوط.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وعلى فكرة إحنا كمان عارفين موضوع التليفون اللي في رجلك
وعمرنا ما هاقول لزيدان ولا غير زيدان.

رفع عاصم رأسه ببطء.

عاصم:

— تليفون؟

نوح:

— أنجيلا شافته في الهرم. ما قولناش لحد. بس لو قلت لنا قصته،
هنتقف جنبك.

عاصم (بصوت لا يشبه الحرس):

— إنتوا... مش عارفين حاجه الموضوع أكبر من خيالاتكم

نوح:

— طب ما تعرفنا قبل ما أحنا نعرف زيدان. ده أحسن لك وللدار.

نهض عاصم فجأة، والمفاتيح ترنّ. كان وجهه قد أصبح بلون الجير.

عاصم (بصوت مبحوح):

— أنا لازم أقولها له قبل ما تقولوها إنتوا.

نوح:

— تقول إيه؟

لكن عاصم كان قد تجاوزه، يصعد السلم مسرعاً نحو المبنى. وظنّ نوح أنه كسب حليفاً.

ومن شرفة الطابق العلوي، رأى زيدان المشهد كاملاً، صامتاً، بلا صوت: نوح يضع يده على كتف قائد حرسه، وقائد الحرس، يومئ. كأن شيئاً قد اتفق عليه.

زيدان (بهمس):

— تمام مسبتليش حل تاني يا عاصم.

* * *

في غرفة البابا، كان آخر حزمة نقود تدخل الحقيبة، وعلى
المكتب، تحت المصباح، جمل صغير من النحاس المطلي بماء
الذهب، هدية شيخون له في العيد العاشر للدار.
وفُتح الباب.

وقف عاصم عند العتبة، يلهث، والمفاتيح في يده.
عاصم:

— بابا... أنا لازم أقولك حاجة دلوقتي حالاً.

زيدان (دون أن يلتفت، يعلق الحقيبة):

— وأنا كنت مستنيك يا عاصم غني يا حبيبي غني.

عاصم:

— أنا مش عارف أبدأ منين. العم شيخون...

توقفت يد زيدان.

زيدان (بهدوء):

— كنت عارف.

عاصم:

— لأ يا زيدان، إنت مش فاهم، أنا...

التفت زيدان ببطء. كان في وجهه شيء ليس له.

زيدان:

— أول مرة تقولي «زيدان» حاف.

عاصم:

— دي زلة لسان! أنا عمري ما بقول غير بابا، أنا...

زيدان (بصوت آخر، قديم):

— من ساعة ما بقيت البابا كان يري نفسه يقولها قبل عشرين عام وهو يقولها في وجه عبدون.

رأى عاصم في عينيه شيئاً فترجع خطوة.

عاصم:

— بابا، أنا جاي أقولك إن...

وأنزل يده إلى جزمته ليسحب الهاتف الأسود ويريه إياه، دليلاً.

لكن زيدان لم ير الهاتف. رأى يداً تغوص في جزمة، كما غاصت يده هو في جيبه قبل خمسة وعشرين سنة، ليُخرج أمام عبدون هاتفاً جديداً لامعاً.

وفي اللحظة التي ظهر فيها الضوء الأسود في يد عاصم، كان الجمل النحاسي قد ارتفع.

ضربة واحدة.

سقط عاصم على ركبتيه، ثم على جنبه. وأفلت من يده مفاتيح
البدر، ألقتها زيدان ثم زيدان إلى الجمل الذهبي في يده،
وارتجفت يده.

جرّ الجثة خلف المكتب، وغطّاها بستارة النافذة المخملية. ثم رفع
الحقيبة، ومسح يديه، وخرج من الغرفة، وأغلق الباب بالمفتاح.
وعلى الباب علّق لافتة صغيرة بخط يده: «ممنوع الدخول».

* * *

عند الفجر، فُتحت بوابة الدار الزجاجية بلا صوت، وخرجت
الهامر الذهبية ببطء، وقد أطفأ زيدان أنوارها.

على الشاشة في التابلوه، ابتسم وجه العجوز الطيب:
بابا بوت:

— بعد مئتي متر، انعطف يمينا.

نظر زيدان في المرأة. شجرة الكافور تتضاءل، والدار تبتلعها
الصحراء، كما رأى عبدون ذات يوم الدار تبتلعها من مقعد «ملكة
الصحراء».

رنّ هاتفه. كان شيخون.

شيخون (بصوت نعلان):

— زوز؟ إنت فين؟ الدار أخبارها إيه؟

زيدان:

— أنا عارف إنك اللي حرّضت عاصم يا شيخون ليه كده دي
عشرة خمس وعشرين سنة مؤبد يا شيخون... طب بلاش العشرة
دي مصالح مؤبد برضوا.

ساد صمت.

شيخون:

— عاصم؟ أنا؟

زيدان:

— اللي بعته ليا. خلصت منه.

شيخون (بصوت مختلف، فجأة صاحي):

— زيدان. إنت بتقول إيه؟ أنا ما بعثش لك حد. ارجع الدار حالاً.

زيدان (يضحك):

— مش هرجع يا شيخون. أنا مش عبدون.

ورمى الهاتف من النافذة، فارتطم بالرمل، وعاد صوت شيخون
يتردد في الصحراء الفارغة بلا مجيب.

وفي خيمة المزرعة، وضع شيخون الهاتف على الوسادة ببطء،
ونظر إلى سعداوي النائم على الأريكة، والهاتف في حضنه.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

شيخون:

— سعداوي.

سعداوي (يفتح عينيه):

— إيه؟ سبع ولا ضبع؟

شيخون(قلقاً):

— زيدان مش سهل. وعاصم مش بيرد.

اتصل بالرقم المحفوظ باسم «عاصم»، فرنّ طويلاً بلا جواب.
ثم مرة أخرى. وثالثة.

سعداوي (وهو يتثاءب):

— تفتكر عاصم قوي كفاية.

شيخون (بيطء):

— للأسف كلهم أقوياء.

مع أول ضوء، استيقظت الدار على لا شيء.

لم يُسمع الجرس. لم تُسمع تعليمات بابا. وفي ساحة الإفطار كانت الصفوف الزرقاء واقفة، تنظر إلى الباب الأبيض المغلق، وإلى الكشك الأزرق الذي لم يضيء.

مضبوط (يهمس لسالم):

— زيدان خذ كل الفلوس اللي في الخزنة بالليل. والهامر مش في مكانه.

سالم:

— وعاصم؟

مضبوط:

— مش باين من الصبح.

سالم:

— يبقى هتلاقيه مكان م تلاقي زيدان وقول لنوح اللي حصل.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

اقترب مضبوط من نوح وهمس في إذنه دون أن يسمع أحد.
نظروا إلى باب غرفة البابا في الطابق الأعلى، ورقة معلقة على
الباب لم يقترب أحد لقراءتها.

وقف نوح أمام الكشك الأزرق، والأطفال حوله، وفي رأسه شيء
يشبه الانتصار. مَدَّ يده إلى الميكروفون الصغير.
نوح (بصوت مرتفع، مسرور):

— يا ولاد! زيدان مشي زيدان هرب. الدار بقت حرة اللي عايز
يعمل حاجه هيعملها من غير خوف أفتحوا البوابات كسروا اقفال
البدروم ألعبوا أخرجوا أعملوا اللي نفسكم فيه.
ساد صمت نصف ثانية.

ثم اندفع أول طفل نحو البوابة.

ثم الثاني. ثم عشرة. ثم الصف الخلفي كله، يركضون بالزي الأزرق نحو الصحراء، يتدافعون عند الباب الزجاجي المفتوح، ووجوههم تلمع بشيء لم يروه من قبل.

جون (يصوّر بذهول، بالإنجليزية):

.Oh no. Oh no, no, no —

وقفت زهرة في الصف الأول، وعيناها واسعتان.

وصاح سعيد، وللمرة الأولى بصوت يسمعه الجميع:

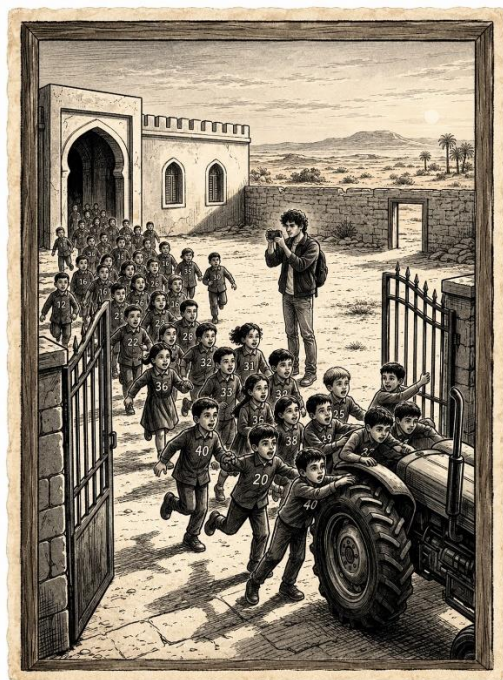
سعيد:

— المرة اللي فاتت! لما عبدون هرب، كنا في سنكم وعملنا زيكم

خرجنا بالشكل ده! وكانت أكبر كارثة بلاش تعملوا زينا؟

تجمّد نوح.

وفي تلك اللحظة، صوت محرّك ثقيل قادم من أتجاه المزرعة،
وظهرت جرارة سالم تسد البوابة كجدار، ومعه عشرة من العمال
بالمجارف.



سالم (يصيح):

— محدش يعدّي!

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وتقدمت منى، بخطوات هادئة، ووقفت وسط الأطفال المتدافعين،
وفتحت ذراعيها.

منى:

— محدش ها يخرج من الدار ومحدش ها يتحبس في الدار.

ولد صغير، رقم تسعة وتسعين، رفع يده:

— هو أنتوا مش قلتوا أننا أحرار بيقى نعمل اللي عايزينه؟

مضبوط:

— مش دي الحرية وأنا مش عارف إيه هي الحرية عشان أقولكم
عليها بس اللي أعرفه اننا أما خرجنا زمان كان غلط.

زهرة (فجأة، تمسك بالميكروفون، بصوت ثابت لم يسمعه أحد
منها من قبل):

— اللي عايز يمشي، يسجل أسمه عند مضبوط، ويمشي معاه
ميّة، وواحد كبير. (تتنفس) ويفطر، يفطر قبل ما يخرج.

نظر الأطفال بعضهم إلى بعض. ثم، لأول مرة، دون أن يأمرهم
أحد، جلسوا.

ولد في آخر الصف:

— هو التسجيل بفلوس عند مضبوط بكام؟

مضبوط:

— ببلاش.

الولد:

— طيب أنا هفطر الأول.

ضحك سالم، وضحك أنس، وانفجرت أنفاس الصف كله.

وقفت منى بين الأطفال، وجاءت طفلة صغيرة تمسك بطرف
ثوبها:

الطفلة:

— قالوا لينا أنك عايزة تبقي الماما زي البابا كدة أنا بحبك يا ماما؟

منى (تحنني إليها، وتبتسم):

— أنا منى حبيبتك منى.

* * *

عند ظهر اليوم، كان ظل الكافور قد انكمش، وجلس سالم أمام الباب الثاني في البدروم بمنشار حديد.

سالم (وهو يعمل):

— ده شغلي. القفل ده مش عايز يتكسر عايز يولع.

سقط القفل على الأرض.

وانفتح الباب، وخرج رجل في الثالثة والأربعين، أبيض الوجه،
طويل اللحية، يرفع يده فوق عينيه كمن ينظر إلى الشمس لأول
مرة.



وقف. وتطلع حوله. ثم سقط على ركبتيه في التراب، ووضع
جبهته على الأرض.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم الي مابياسوش

سجد، وكان صمت الدار كله يقف خلفه.

حين رفع رأسه، كانت دموعه على لحيته.

عبد الرحمن:

— الحمد لله.

ثم نهض، ومشى بين صفوف الأطفال الذين يتنحون له، وهو ينظر حوله: إلى الشاشات، وإلى اللافتات الإلكترونية، وإلى الشجر البلاستيكي المنتشر في الساحة، وإلى الكشك الأزرق.

وقف أمام الكشك.

عبد الرحمن:

— ده إيه؟

أنس:

— ده بابا بوت.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

عبد الرحمن:

— التماثيل حرام.

أضاء الكشك فجأة، وابتسم الوجه العجوز، وقال:

بابا بوت:

— أهلا بك كيف يمكن مساعدتك.

عبد الرحمن (يتراجع خطوة):

— لا حول ولا قوة إلا بالله!

سالم (وهو يضحك، ويمد يده خلف الكشك):

— استنى.

ضغط على زر إغلاق البابا. وأنطفأ الوجه العجوز، وضجت الصفوف بالتصفيق.

مشى عبد الرحمن إلى الكافور، ووضع كفه على جذعه، كمن يتأكد أن شيئاً واحداً على الأقل بقي من الدار التي عرفها.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم الي مايبأسوش

ثم التفت إلى أنس، الواقف بصدرية التمريض البيضاء.

عبد الرحمن:

— إنت أنس؟

أنس:

— أيوه.

عبد الرحمن:

— أنس أخويا من السراج المنير؟

أنس (بإرباك):

— أنا بتاع الأمل. أنا اتربيت هنا...

عبد الرحمن (يلتفت إلى الصفوف، بصوت مرتفع):

— مين فيكم من ولاد السراج المنير؟ مين مالك؟ مين خالد؟ مين

فلان وعلان؟

عبد الرحمن (يضع يده علي كتف شاب):

— إنت من السراج ولا الأمل؟

وضعت فاتن يدها على كتف عبد الرحمن، برفق.

فاتن:

— مبقاش فيه ولاد الأمل وولاد السراج يا عبد الرحمن. كلنا
إخوات.

نظر إليها طويلاً.

عبد الرحمن (بصوت خافت):

— ده كلام بابا.

فاتن:

— ده كلامنا كلنا.

وعلى الجانب الآخر من الساحة، كانت منى تقف أمام الباب،
وترى الاثنين.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

منى (لنفسها):

— عبد الرحمن السجن ما غير هوش.

ثم دخلت المطبخ، وأمسكت سكيناً وبطاطس، وبدأت تقشّر بصمت.

مرّت ثلاثة أيام.

عادت الدار إلى شيء يشبه الحياة. وفتحت فائن المطبخ للجميع، واستعاد عوض مريّته، وتعلّمت الصفوف الزرقاء أن تأكل دون أن تعدّ.

وبقيت غرفة البابا مغلقة. لم يكن أحد ليجرؤ علي الاقتراب منها.

* * *

وفي لندن، كان الخط يتسع.

في مكتب ساشا، كانت أنجيلا تقف أمام شاشة كبيرة، وعلى الشاشة صور وعناوين:

«تحقيق: أموال دافعي الضرائب تتحول إلى دور أيتام في الصحراء».

«مئة وثلاثون بلاغاً ضد مستشار منح».

«لجنة برلمانية تطلب فتح دفاتر المؤسسة».

وفي إحدى القنوات، ظهرت السيدة ويتمور، شاحبة، تقول إنها «لا تعلم بوجود أي مخالفات».

ساشا (يطفى الشاشة):

— لسه بتقول «منعرفش».

أنجيلا:

— ها تقول مثلاً أنها شريكة في الجريمة! طبعي تقول كدة.

ثم رنّ هاتفها. رسالة من نوح: «لو سمعتي ضحكة من الدار، ها تعرفي أننا عملنا أعظم حاجة ممكن تتعل في الحياة».

في الليلة الثالثة، جلس الأطفال في دائرة تحت الكافور، والنار
تلمع على وجوههم. كانوا لا يزالون خائفين، وكان الكبار يعرفون
ذلك، فأرادوا أن يفرحوهم.

فاتن (توزع الشاي):

— يلا يا سعيد أعمل حاجة اتصرف عايزة اشوف العيال
بتضحك وفرحانه العب بقي غني مثل فاجئنا يلا.

سالم:

— لأ لأ ده وقته الخازباز!

الأطفال (مرددین، بلا فهم):

— الخازباز! الخازباز!

نظر سعيد إلى الصندوق الخشبي، ثم إلى الأطفال. كان قد تجنّب
الجلوس في أي مكان يمكن تراه فيه منى.

سعيد:

— منك لله يا حسن يا طلب، جننتني وهتجنن العيال.

طفل مازال يتعلم النطق:

— ده زميلنا هنا يا سعيد

سعيد:

— لأ يا قلب سعيد ده اللي كتب الخازباز

فاتن:

— سعيد أنت بتضيع وقت وبتتهرب يلا انزل بتعونتك وسيب الشرح عليا.

جون:

— لأ لأ أستنوا أذيع لايف... (بعد أقل من دقيقة) أكشن

أخرج سعيد الديوان مسكه في يده ولم يقرأ منه،

قفز سعيد بحركة مسرحية ورفع صوته:

ما لم يكن سيكون كان..... ما لم يكن سيصبح صح

ولم يكن سيجوزُ جاز

يبس السحابُ... تبخر القاموسُ

كيف إذن سيحيا الأنقليس؟

وكيف يُفلتُ من إيسار المرمريس الخازباز؟

ضحك الأطفال، لا لأنهم فهموا، بل لأن الإيقاع غريب.

وفي الصف الأول، رفع طفل صغير في الخامسة رأسه، وعبس،
وقال:

الطفل:

— وحشة.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اليي ماييأسوش

ضحك الجميع.

سعيد (يبتسم):

— وحشة! طب مش مكمل

الطفل (يخرج بسانه):

— وحشة.

ضحك أنس وسالم، وهزّ سعيد رأسه كمن يعتذر، وواصل:

لا بد من شيء لينجو من هلاكٍ مقبلٍ ... هل يستعينُ بحسه
الفطري؟ ... أم بخياله الحفاز؟!

الخازباز الآن يعمل ذهنه.....متأملًا رهبوت هذا العصر
في كرسيه الهزاز!

والسؤال الآن:

كيف يتم تقدير الحساب بحيث ينسجم المزيج
ليستمر عجيج تلك الأمة المثلى بهذا الموقع الممتاز؟!!

هااااا كيف (ومر بعينه في أعين الصغار) لا بد من حل

لا بد من حل جري خازا بازي
يجي بأحوزي حيث يذهب بانتهازي
يعري كل ذي زي

ليعرف من يريد ...

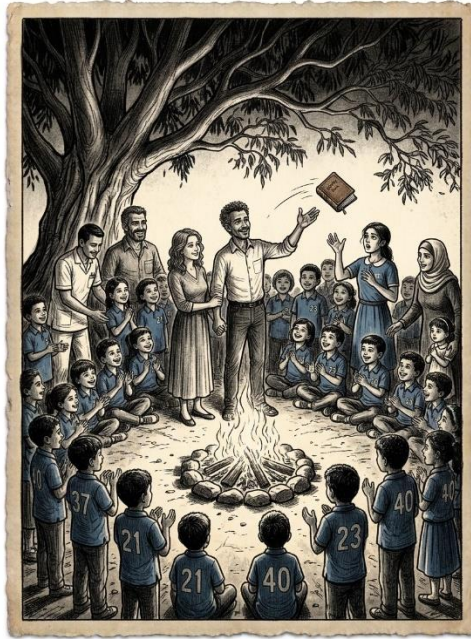
حقيقة الثوري والوطني / الجاسوس والسلفي / والسمسار و/
والنهاز

وارتفعت الضحكات أعلى لكن هربت الدماء من وجه سعيد ينظر
بخوف لقادم من خلف الأطفال (توتر - تعرق - تلعثم)

ومن الخلف ظهرت مني تبسم وتشير له:

منى:

— كمل يا سعيد



الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

تنهد سعيد تنهيدة طويلة ورسمت سعادة علي وجهه لم يعرفها
الدار بأكملها من سنوات:

جري سعيد مخترقاً الصفوف يقف أما منى نظر لها نظرة ممتن
والثف الصغار حولهم القي سعيد الديوان من يده ليد زهرة،
وقبض علي يد منى كأنه يخشى أن تضيع من يده ونظر للأطفال
وأشار نحو منى بيده الأخرى واستكمل الديوان:

ماذا سيفعل ذلك الرخوي وهو على شفير الأرض

لا حي فيستدعى.....ولا ميت فيستنعى

ولكن بين بين؟

ومن سيسمع إن بكى أو أن؟!

قاطعته زهرة وهي تبحث في الديوان بيدها:

— ده مش المكتوب عندي يا سعيد أنت بتتصب ونطيت حنة كبيرة.

وقبل أن ينطق سعيد بكلمة واحدة قطع الضحك ذلك الطفل العابس
ومرة أخرى بصوت أكثر إلحاحاً:

— وحشة.

مظبوط (بضحك):

— الواد ده بومة.

فاتن (تتوقف، وتنظر إليه):

— إنت قصدك إيه اللي وحشة يا قلبي؟

الطفل (يسدّ أنفه بإصبعيه، ويشير نحو مبنى الدار الرئيسي):

— وحشة!

ساد صمت قصير.

ثم شمّ مضبوط الهواء، وانتبه سالم. كان ريح ثقيلة تتسرب من نافذة الطابق العلوي، حيث يلمع حشد صغير من الذباب في ضوء القمر.

مضبوط (بصوت متغير):

— يلا كله على سريريه عشان ها نصحي الصبح ها نلعب كلنا من بدري.

دون أنفق تحرك الكبار وخلفهم بعض المراهقين نحو الطابق العلوي، حيث لافتة «ممنوع الدخول».

* * *

كانت الرائحة الكريهة تحاصر غرفة الباب كسر سالم الباب بكتفه.

وانبعثت الريح مع الظلام، حتى تراجع الجميع خطوة. أضاء جون كاميرته، ثم أخفضها، وحقق في الأرض.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وخلف المكتب، تحت الستارة المخملية، جثة.

كان عاصم راقداً على جنبه، وقد بدأ يتحلل. ورأسه مشقوق من الخلف، وبجواره الجمل النحاسي المطلي بالذهب، وعليه سواد جاف.

وفي جزمته، ظهر شيء أسود صغير لم يلحظة أحد.

منى (بصوت لا يهتز، وهي تقف عند الباب):

— زيدان المجرم القتل مش جديد عليه.

نظر نوح إلى الجمل النحاسي.

نوح (بهمس):

— ده هدية شيخون محفور عليها اسمه.

سالم (وعينه دامعة):

— المفروض نعمل إيه دلوقتي؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ساد صمت.

سعيد (وهو يتراجع، ويده على فمه):

— في المواقف دي... بنسيب فاتن تتصرف. هي اللي بتعرف
تدفن.

نظر الجميع إلى فاتن. كانت واقفة عند الباب، وجهها شاحب،
وعيناها على الجثة.

وفجأة، سمعوا صوتاً لم يسمعه من قبل.

زهرة (بصوت يعلو لأول مرة في حياتها، وهي تتقدم نحو سعيد):

— هو إنت عمرك ما هتبتل؟

سعيد (مفاجأ):

— زهرة...

زهرة:

— ها تفضل سلبي طول عمرك المرة الوحيدة اللي مكنتش سلبي
فيها دبحت الغالة صحكك للعيال

(صوتها يرتجف) إنت مبتعرفش تعمل حاجة غير السلبية
والهروب والأشعار اللي بتقولها، وإنت حتى مش فاهم معانيها!
تجمّد سعيد.

لم يرد. أحنى رأسه، وأخفى عينيه وأقترب في اتجاه الجثة
المنتفخة دون خوف.

وكان جون يرفع يده بالكاميرا، يوثق كل حرف.

وبعد دقيقة طويلة، تقدمت فاتن، ووضعت يدها على كتف زهرة.
ثم مشت إلى الجثة، وركعت إلى جوارها.

فاتن (بصوت خافت جداً):

— هانصلي عليك. وبعدين أنا اللي هادفك يا قلب أحتك.

في الجنينة الخلفية، حيث أشجار سعدواي التي أخترقت رفات
الصغار تحت رمالها، جلس الكبار

وقف عبد الرحمن وسط القوم، ولحيته تلمع تحت المصباح، يتلو
شيئاً بصوت منخفض.

سالم (يحمل مجرفته):

— هحفرف هنا؟

مظبوط:

— بس الجنينة دي ملك سعدواي مش المفروض نستأذن.

أنس:

— لا

ساد صمت متعب. وفي الظل، كان جون يقف في الخلف،
كاميرته في يده، لا تصوّر، ثم تقدم، ونظر إليهم جميعاً.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

جون (بالعربية، بنبرة بطيئة، ولأول مرة لا يهزل):

— يا جماعة. أنا بقالى أيام بصوّر وساكت. ما كنتش عارف أقول إيه. (يتنفس) بس سمعتكم. بتقولوا إن الناس اللي مدفونة هنا إخوانكم. صح؟

لم يرد أحد.

جون:

— عاصم عاش هنا زيههم. اتربى في نفس الدار. اتعذب في نفس الدار. اتقتل في نفس الدار. (صوته ينكسر) يبقى ادفنوه جنب إخوانه.

الأرض اللي فيها إخوانكم بتاعتكم، حتى لو مش على الورق. أنزل الكاميرا، ووضعها على الأرض، ثم رفع يديه ليمسح وجهه.

جون (بالإنجليزية، لنفسه، بصوت يكاد لا يُسمع):

— I thought I came here to see pyramids —

أمسك سالم المجرفة، وبدأ الحفر. وجاء أنس وعوض وطارق،
حتي جون سحب سعيد من يده وشاركوا في الحفر.

وخلفهم وقف عبد الرحمن، وفاتن، والأطفال في صفوف طويلة،
وصلّى عليه عبد الرحمن، بصوت ثابت، يتلوه خلفه الجميع.

وفي الصف الأخير، وقفت منى وحدها، تنتظر إلى شهيدين قبور
صغيرين مجاورين لقبر عاصم. كانت تعرف أسماءهما دون أن
تقرأها: بكر ونوران.

نوح وقف إلى جوارها.

نوح (بصوت خافت):

— أنتي مقتلتيش حد... صح؟

منى (دون أن تلتفت):

— لو قتلت ف انا قضيت العقوبة لكن أنا معرفش اقتل حتي.

نوح متكرر ش غلطاتنا وعلم الأيتام وعلما معا هم المفروش نعمل
إيه عشان محدش يموت تانى.

* * *

وحين عادوا إلى شجرة الكافور، كان الأطفال صامتين. جلسوا
في دائرة تحت الظل، يحرقون في الجمر.
فاتن (بصوت منهك):

— مش عايزة أشوف حد منكم حزين

جون(بالعربية):

— يعني يدفنوا ويجوا يلعبوا عادي مش من حقهم على اللي
مات؟

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

فاتن:

— إحنا مش أوربا وعندنا في مصر معندناش رفاهية الحزن
العيال الصغيرة مش لازم يحسوا بحاجة واحنا لازم نضحك من
قلبنا بجد قدامهم عشان يصدقونا ويضحكوا.

طارق:

— طب سعيد يكمل الخازباز؟

ابتسم أنس.

— سعيد بس اللي حقه يزعل دلوقتي سيبوه في حاله.

نظر سعيد إلى الأرض. ثم إلى الأطفال. ثم أخرج الديوان واعطاه
لأنس ومن خلف شجرة الكافور حمل مورجحة الميزان القديمة
ووضعها أمام جون.

سعيد:

— صور دي

وأتجه وحيداً نحو الجنيّة الخلفية وهو يتمتم آخر بيت قد توقف
عنده قبل أن يقاطعه الصغير العابس ... **لا بد من شيء لينجو من**
هلاك مُقبل... وأختفي صوته وحتى ظله

ساد الصمت.

* * *

وفي لندن، كانت أنجيلا في مطبخها الصغير، منتصف الليل،
تتنقل على شاشة حاسوبها بين لايف سعيد والفيديوهات المرسلة
من جون.

رأت سعيد، والنار، والأطفال، والكبار الذين يضحكون. وسمعت
الأبيات التي لم تتوقع أن تفهمها، كما قال سالم.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ابتسمت، ثم ضحكت وحدها، بصوت لم يسمعه أحد.

أنجيلا (بالإنجليزية، للشاشة):

— فهمت يا سعيد. فهمت.

ثم اهتز هاتفها. رسالة من ساشا:

«حدّدت لجنة التحقيق المستقلة موعد جلسة النظر في قضية الدكتور عبده: في الأحد الأول من الشهر القادم.

الفصل الثامن

ولد الهدى

عند البوابة الزجاجية، وقف عبد الرحمن بحقيبة قماش صغيرة
تحت إبطه، ومصحف، وزجاجة مئة بفلتر من اختراع سالم.
وحين اقترب خطوة، انزلقت البوابة بلا صوت، فترجع خطوتين.
عبد الرحمن:

— لا حول ولا قوة إلا بالله. هي بتفتح لوحدها؟

منى (من خلفه، تلهث من الجري):

— رايح فين؟

عبد الرحمن (دون أن يلتفت):

— أدور على بابا.



منى:

— بابا إبراهيم لو كان عايش دلوقتي كان هيبقى عنده مية سنة
أكيد مات يا عبد الرحمن..

عبد الرحمن:

— لو مات، هقرأ الفاتحة على روحه.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

منى:

— وبعدين؟

عبد الرحمن:

— وأدور على بيتي دار السراج المنير.

منى:

— وإحنا؟

التفت أخيراً، وفي عينيه حنان متعب.

عبد الرحمن:

— الدار دي مكنتش دارنا يا منى من الأول.

منى:

— خليك نعيش سوا كلنا وبكرة تحس انها بيتك.

عبد الرحمن:

— مقدرش. لو قعدت هنا هفضل مستني بابا يرجع.

جاءت فاتن مسرعة، وفي يدها كيس خبز، ودستته في حقيبته دون كلام.

أمسك عبد الرحمن يدها لحظة، ثم أفلتها.

وعبر البوابة، فانزلقت وراءه بلا صوت.

وقفت منى تنظر إلى ظهره الذي يتضاءل في الرمل، وفي يدها حبة بطاطس نسيت أن تضعها.

اقترب جون بكاميرته مخفوضة، وصوته خافت.

جون:

— هو الناس كلها هنا مكتوب عليها تمشي؟ زيدان، وعاصم،
وعبد الرحمن. فاضل مين؟

منى:

— إحنّا.

جون:

— طب حد عنده فكرة زيدان راح فين؟

مضبوط (من خلفهم، يعدّ شيئاً في دفتره):

— أكيد عند شيخون.

سالم:

— لأ. لو عاقل يبقى أكيد راح عند بركة الميّة. الواحة اللي كان

عايش فيه سعيد زمان.

سعيد:

— البركة... ياااه أحلى أيام والله

جون:

— لا أكيد علي أوروبا؟ ومش بعيد بعد عشرين سنة نكتشف إنه
بقى مستشار لحكومة أوروبية، زي عبدون؟
ضحك أنس، وضحك سالم، وحتى سعيد.

فاتن (بهدهوء، وعيناها على الأفق):

— مش مهم دلوقتي زيدان راح فين. المهم إحنا هنعمل إيه في
اللي جاي.
ولم يجبها أحد.

* * *

مرّت الأيام، إدارة متخبطة للدار، عقدت الدار ثلاثة وعشرين
اجتماعاً.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

الاجتماع الأول انتهى لأن الكهرباء قُطعت. والثاني انتهى لأن أحدهم سأل: «هو إحنا بنعمل اجتماع ليه وخلص بخناقة». والثالث لأن طارق اقترح تشكيل لجنة لتحديد طريقة تشكيل اللجان.

أنس:

— أنا أقترح...

سالم:

— أنا لسه ما خُصتتش!

طارق:

— إنت ما بدأتش أصلاً!

مضبوط (يرفع دفتره):

— الكلمة لمين؟

الجميع:

— لِيَا!

مضبوط:

— مضبوط ليكم كلكم. (يقف ووجه نحو بابا الخروج ثم يستدير)
اللي مش مضبوط إن ده الاجتماع الثاني والعشرين وما قررناش
قرار واحد يخص مستقبل الدار وكله رغي ورغي وحناقات على
الصغيرة والكبيرة.

* * *

في لندن، عند بوابة الجامعة، كان شرطيان يقفان بجانب سيارة،
وأمامهما عبدون بدلتهم الرمادية.

عبدون:

— أنا مستشار! أنا مستشار الحكومة ومستشار عند المؤسسة
عايزين إيه مني!

الشرطي (وهو يخرج الكلابشات، بهدوء إنجليزي):

— الدكتور عبده؟

عبدون:

— أيوه.

الشرطي:

— هنا مفيش مستشارين. فيه مواطنين وفي قانون ومحكمة قول
لها كل اللي عايز تقولوا إحنا واجبنا تنفيذ قرارها ونوقفك عشان
تمثل أمامها.

* * *

وفي الممر الخشبي الطويل أمام أحدي قاعات، جلست ثلاث
نساء، لا تنتظر إحداهن إلى الأخرى.

أضاء هاتف هدى. نظرت إلى الشاشة، فشحب وجهها.

هدى (بصوت منخفض):

— منحتي «قيد المراجعة». المادة الرابعة عشرة.

قلبت مانويلا الهاتف على المقعد، وجهه إلى الأسفل.

مانويلا:

— هنقراها بعدين.

هدى:

— ده بيخوفني.

مانويلا:

— يبقى نخاف سوا.

كانت لبينا تفتح حقيبتها وتغلقها، تفتحها وتغلقها.

ليينا:

— من تسع سنين مش بعرف أنام من غير النور شغال بسبب
المجرم ده، أنا مش مصدقة أنه ممكن يأخذ جزاءه النهاردة.

لم يرد أحد. فوضعت مانويلا يدها فوق يد ليينا.

وجاءت من آخر الممر امرأة في السبعين، بمعطف قديم، وفي
يدها ملف أصفر باهت، وجلست على الطرف الآخر من المقعد.

إيفلين:

— أنا إيفلين. كنت مساعدة في مكتبه سنة ٢٠٠٣.

رفعن رؤوسهن.

إيفلين (تفتح الملف، فتظهر ورقة مصفرة بحروف آلة كاتبة):

— كنت شايفة. وسكت. كنت بقول لنفسى إني الوحيدة. (تنظر
إليه) وكنت مستتية حد يبدأ.

هدى (بعد صمت):

— وإحنا بدأنا؟

إيفلين:

— بدأت.

مدّت هدى يدها، وأخذت الملف دون أن تقرأه.

هدى:

— يلا ندخل.

وفي القاعة وقف محامي الدفاع، رجل أنيق بشعر فضي.

المحامي:

— موكلي لا أدلة تثبت ادعاءات استغلال جنسي ضده وما يتعلق

باتهامات الفساد فموكلي مجرد مستشار في برنامج منح، ولا

علاقة له...

كولينز (من مقعد الادعاء، دون أن يقوم):

— لا علاقة؟ سبعة وأربعون اتفاقية تمويل مشبوهة بتوقيعه وملوش علاقة.

ثم نودي على هدى، فصعدت إلى منصة الشهود، ويدها متشابكتان لئلا ترتجفا.

المحامي (بابتسامة من يمسك بخيط):

— أنسة هدى. قبلتِ المنحة بعد واقعة الاستغلال اللي بتدعيها، أليس كذلك؟

هدى (بالإنجليزية):

— أيوة بس...

المحامي (مقاطعاً):

— جاوبي على قد السؤال لو سمحتي. فلماذا تقبلين منحة من رجل تتهمينه؟

هدى:

— لأن البديل كان الشارع.

ساد صمت قصير. ولم يجد المحامي سؤالاً بعدها.

ونطق كاتب الجلسة اسمها خطأً: «هودا».

هدى:

— هدى. مش هودا.

القاضي (دون أن يرفع عينيه):

— يُصحَّح الاسم في المحضر.

ثم نظر إلى الملف، ثم إلى الصفوف الخلفية حيث جلست أنجيلا
خلف كولينز.

القاضي:

— تقدّمت مئتان وأربع عشرة شهادة جديدة خلال أسبوع. تؤجّل
الجلسة لدراستها.

ضجّت القاعة.

عبدون (من قفص الاتهام، فجأة):

— أنا مستشار!

القاضي:

— اجلس يا سيد عبده.

وفي الممر، بعد الجلسة، جلست هدى وحدها، ويدها ترتجفان.

اقتربت أنجيلا ومعها مظلتها.

أنجيلا:

— خدي المظلة.

هدى:

— مفيش داعي مش محتاجها أنا اتعودت.

أنجيلا (بصوت متردد):

— أنا اللي محتاجة أحس إني بساعدك بحاجة.

أخذتها هدى، وابتسمت ابتسامة صغيرة. ثم رفعت رأسها إلى كولينز.

هدى:

— هانفضل كدة كل شوية الجلسة تتأجل ونرجع كده من غير نتيجة؟

كولينز:

— كل مرة بنرجع أه بس مش من غير نتيجة شوفي كام بنت اتشجعت وقدمت بلاغات وشهادات جديدة حتي لو اتأجلنا مليون مرة مش من غير نتيجة هانروح ونرجع ثاني بتقدم ثاني.

إيفلين (من خلفها، بصوتها الواهن):

— وأنا هرجع معاكم.

وعلى سلالمة المحكمة، وقفت مراسلة قناة أمريكية والمطر من خلفها والكاميرا أمامها.

المراسلة (بالإنجليزية):

— لم تعد القضية قضية رجل واحد. فقد أعلنت اليوم حكومات في الشرق الأوسط عزمها مراجعة القوانين المنظمة لدور الأيتام. ولكن تجدر الإشارة أنه قد تمت مراجعة هذه القوانين عشرات المرات خلال نصف القرن الماضي، دون أن تغير ملموس.

المصوّر (بالإنجليزية، هامساً):

— أنا فاكّر إننا صورنا خبر زي ده السنة اللي فاتت.

المراسلة (دون أن تتحرك شفتاها):

— واللي قبلها.

وخلفها، على الرصيف، كانت هدى تعبر الشارع بالمظلة
المستعارة، لا تنظر إلى أي كاميرا.

* * *

وفي خيمة في أحد المزارع، كان سعداوي يمشي ذهاباً وإياباً،
وهاتفه في أذنه.

سعداوي:

— يا حاج، مصالحنا بتضيع! الدار فاضية، والتمر واقف،
والزبون الأوروبي مش بيرد!

شيخون (من الطرف الآخر، بهدوء):

— اهدا يا سعداوي.

سعداوي:

— ما اهداش! إنت متابع الأخبار؟ المحكمة، والجرايد، وقنوات
الأخبار! إحنا هنتصرف إزاي؟

شيخون:

— هنتصرف.

وأغلق الخط، ورنّ في الخيمة رقم آخر، فأجاب بصوت مختلف،
منخفض، يبدو واثق متزن.

شيخون:

— أهلاً بعمنا.

جاء الصوت الهادئ الرسمي، ولكنّه غير المعروف:

الصوت:

— الاستقرار أهم من أي مصالح الآن يا شيخون. أيتام دار الأمل
إن انفلتت سلسلتهم، ها تبقي كارثة علي المنطقة كلها. واحنا أقرب
حد ليهم، ومش ها نسمح بفوضى على بابنا.

شيخون:

— الباب افتتح من جوه يا عمنا مش احنا السبب.

الصوت:

— يبقي نقفله. ومش عايز أعرف ها تقفلوه ازاي.
وانقطع الخط.

وفي الخيمة، جلس شيخون على الوسادة، وطال صمته،
وتساقطت حباته على سبخته واحدة تلو الأخرى.

وفي زاوية أخرى من الخيمة، كان سعداوي يمسك هاتفاً ثانياً،
ويتكلم بالإنجليزية الركبكية، وصوته أخف بكثير.

سعداوي(بالإنجليزية):

— مستر هارجروف مش عايزك تقلق خالص اللي بيحصل مش
أكثر من زوبعة فنجان وها تعدي، كل حاجه هنا تحت السيطرة
بفلوسنا ورجالتنا مفيش حاجه ها تحصل ممكن تقلق وعشان تبقي
مطمئن احنا مجهزين بديل واثنين وثلاثة لكل راجل من رجالتنا
وفي الطرف الآخر،

هارجروف (بنبرة أوروبية هادئة):

— كلامك هايضمن مجلس الأمناء.

سعداوي:

— طبعاً! ده شغلنا!

ثم أغلق الخط، ونظر إلى هاتفه ببطء.

* * *

عند الفجر، جلس نوح وحده بجوار القبر الجديد، وعلى ركبته دفتر صغير.

كتب سطرأً، وشطبه، وكتب آخر.

جاء الطفل الصغير العابس، صاحب كلمة «وحشة» يوم القسيمة، حافي القدمين، وجلس بجواره.

الطفل:

— بتكتب إيه؟

نوح:

— حاجات غلطت فيها.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

الطفل:

— كثير؟

نوح:

— ممم كثير بس مش أوي.

فكرَ الطفل. ثم التقط حجراً صغيراً، ووضعه على التراب عند رأس القبر.

الطفل:

— أنا ما مش بعرف أكتب بس ها أحط حجر بدل كل غلطة بغلطها.

وضع حجراً ثانياً. ثم ثالثاً.

نوح (بصوت مخنوق):

— كفاية يا حبيبي.

الطفل:

— لسه ما خلصتتش.

* * *

وفي الجنية الأمامية، وتحت شجرة الكافور، كان الاجتماع الثالث والعشرون على وشك البدء.

جلس الجميع في دائرة على الأرض، سعيد وفاتن ومنى وأنس وسالم ومظبوط وزهرة وطارق وجون ونوح، وحولهم صفوف من الأطفال.

مظبوط (يرفع دفتره):

— بند أول: جدول الأعمال.

سعيد (واقفاً):

— أنا عندي كلمة قبل أي جداول.

أنس:

— مفيش حاجه اسمها قبل أي جداول يا سعيد أنت مش القائد
عشان تغير نظام الاجتماع براحتك

سعيد:

— أنا مقولتش أني القائد وعمري ما كنت عايز ابقى قائد وكويس
انك قولت كده سهلت عليا اللي عايز أقوله (يتنحج)

الثورة اللي حصلت علي زيدان دي أعظم ما فيها انها ملهاش قائد
كلنا جزء منها ومحدث فعلا أحسن من حد.

وطالما كلنا قادة مش عايزين بابا تاني يقودنا.

أنا زمان عشت أنا والعيال في الصحراء، وانبسطنا، وبنينا،
واصطدنا، والحياة كانت حلوة.

ساد الصمت لحظة. ثم رفع طارق يده.

طارق:

— طب لو ملناش قائد، مين هيقول لنا نعمل إيه الصبح؟

سعيد:

— كل واحد يعمل اللي شايفه.

أنس:

— أنا شايف إني أنام.

ضحك الجميع.

مضبوط:

— طب الفطار مين هيعمله؟

ولم يجب أحد.

ثم رفعت فاتن عينيها من فوق شاي كانت تصبّه، ونظر إليها الجميع.

فاتن:

— أنا هاعمل الفطار يا فالح.

سعيد:

— خلاص بيبقي فاتن من هنا ورايح قائد الفطار

فاتن:

— لأ يا سعيد أنا مش قائد حاجة.

نظر جون إلى سعيد، ثم قال، وهو يرفع يده:

جون:

— طب أنا عايز أقطع. (يقوم)

اللي فهمته من كلام سعيد ان الكل ما يعملش حاجة ونرجع
نصطاد ونأكل لحد ما نموت؟ إحنا في سنة كام؟ الذكاء
الاصطناعي بيسوق العالم، وإننت عايزهم يعيشوا عيشتك زمان
في الواحة يتعلموا يولّعوا نار بحجرين!

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

سعيد:

— والنار دي وحشة؟

جون:

— النار حلوة! بس مش كل حاجة!

وهنا، من الصف الأمامي، رفع طفل صغير في الخامسة يده.

الطفل:

— هو الذكاء الاصطناعي ده اللي هو بابا بوت؟

جون:

— اه، يعني...

الطفل:

— أنا مش بحبه. ومش عايزه. ده وحش.

ضحك بعض الأطفال، وسكت الباقون.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أنس:

— ليه وحش يا حبيبي؟

الطفل:

— عشان مش بيقول «الأكل أهم» حتى وانا بقوله عايز ألعب.

ساد صمت ثقيل.

نوح (يجلس على ركبتيه أمام الطفل):

— هو ما بيفكرش يا صاحبي. هو بيقول اللي زيدان علّمه يقوله.

الطفل:

— يبقى ما يتعلمش من حد سيبوه محدش يعلمه تاني.

ولم يجد أحد جواباً.

* * *

وفي وسط الجدل، اهتز هاتف نوح. كان الاتصال من أنجيلا، من لندن.

نوح:

— أنجيلا! (يضع الهاتف على صندوق خشبي، ويدير الكاميرا) تعالي، سلّمي على الكل.

ظهر وجهها على الشاشة، متعباً، مبتسماً، وحولها شقتها الصغيرة. ولوّح الأطفال بأيديهم.

أنجيلا:

— إزيكم؟ أنا... (تتوقف) هو إنتو كام واحد؟ عايزه أقولكم حاجة الأول أنا قابلتكم يومين بس، وحاسة إنكم بقيتوا حياتي.

فاتن (تقترب من الشاشة بحنان):

— أنجيلا الأول قوليلي اتعشيتي؟

ضحكت أنجيلا، وتلألأت عيناها.

أنجيلا:

— لسه ياتونة، بس هاكل حاجة وأنا بكلمكم أهو.

وفي خلفيتها، من داخل الشقة، ارتفع صوت أغنية قديمة، بصوت أم كلثوم، يعبر الغرفة كأن الموسيقى قد اخترقت قواعد الفيزياء وصلت لمكبرات صوت الدار البعيدة.

والله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاء

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

الاشتراكيون أنت أمامهم لولا دعاوي القوم والغلواء

تجمّد نوح.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

كان هو الصوت نفسه الذي سمعوه في السيارة يوم محاضرة
عبدون الأولي، قبل البدروم والكافور.

نوح (فجأة، بصوت متغير):

— أنجيلا. بسرعة. اقفلي. اقفلي يا أنجيلا!

أنجيلا:

— أقفل إيه؟

نوح (تذكر حوار السيارة في لندن يوم سمعت أنجيلا الأغنية):

— اقفلي! لقيتها! لقيتها!

ثم خطف الهاتف من على الصندوق، وأعطاه لجون، وجرى.

جرى بين الصفوف، وقفز فوق ساقى سالم، وصعد إلى منصة مورجiche الميزان بخطوتين، ووقف على طرفها العالي، تحت الكافور، وصاح بصوت عالٍ لا يشبهه:

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

ثم أعاده.

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

وأعاده مرة ثالثة، ثم رابعة، حتى ملّ الأطفال وبدأوا يعيدونه معه، دون أن يفهموه.

جون (من أسفل، وهو يمسك الهاتف، بصوت متعب):

— خلاص يا ضايع، عرفنا! قول بقى عايز إيه!

تنفس نوح. ونظر إلى وجوههم، وفتح فمه، ولم يخرج شيء.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

نوح:

— المهم يبقى فيه حد... بيدير الدار... ومسؤول...

طارق:

— يعني بابا؟

نوح:

— لأ، مش...

مضطرب:

— يبقى مدير؟

نوح:

— ده...

طارق:

— طب مدير ولا بابا؟ الفرق إيه؟

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

سكت نوح. ثم قال بصوت لم يسمعه منه من قبل:

نوح:

— أنا مش عارف.

جون (من أسفل، بدهشة):

— إنت مش عارف؟ إنت اللي جايينا هنا عشان الحوكمة مش
عارف يا دكتور!

نوح:

— أنا اتعلمته في الكتب يا جون. غير اللي بيحصل هنا في الدار
خالص.

ساد صمت. ثم أخرج من جيبه الدفتر الصغير.

نوح:

— أنا مش هقولكم تعملوا إيه. هقولكم أنا عملت إيه.
وفتح الدفتر.

الفاشوش - الرواية الثالثة - حكم اللي مايأسوش

نوح:

— غلطة واحدة. قلت لعاصم إننا عارفين عن التليفون. بعدها
بدقيقة راح لزيدان. وزيدان قتله.
لم يتحرك أحد.

وفي الصف الأول، التقط الطفل الصغير حجراً من جيبه،
ووضعه على الأرض أمام المنصة.

نوح:

— غلطة اتنين. أخذت الميكروفون وقلت للعيال أنوا أحرار.
سمعوا كلامي وكانوا هايمشوا من الدار كان ممكن يموتوا في
الصحرا لولا سالم لحقهم.
الصغير يضع حجر ثانٍ.

نوح (بصوت أخفض):

— غلطة ثلاثة. كنت ها قبل عرض شيخون. وقلت لأنجيلا إني
هفكر.

الطفل حجر ثالث.

جون (يرفع الهاتف):

— أنجيلا، سمعتي؟

أنجيلا (من الشاشة):

— سمعت. وأنا كنت عارفة.

رفع طارق يده كأنه في اختبار.

طارق:

— بس ثلاثة؟

نوح:

— إيه؟

طارق:

— أنا عندي سبعناشر غلطة. هو ده المتوسط هنا في الدار؟

ضحك الأطفال، لأول مرة، ضحكة تشبه التنفس.

زهرة (دون أن ترفع رأسها من دفترها):

— وأنا عندي ثلاثة وأربعين. بس أنا مسجّلاهم.

ثم قالت فاتن، بصوت لا يكاد يُسمع، كأنها تحدّث كوب الشاي:

فاتن:

— وأنا خمسة وعشرين سنة.

نظر إليها نوح، ولم يقل شيئاً.

منى (وهي تقشّر البطاطس بجانبها):

— وما كنتش لوحدة.

كان نوح ينظر إلى الحجارة الثلاثة أمامه، كمن يرى أول لبنات سور.

مضبوط (يرفع دفتره ببطء):

— طب الغلطات دي... نكتبها فين؟

سالم:

— على سبورة.

نوح:

— سبورة؟

مضبوط:

— مش مهم مين اللي خد القرار الغلط مش لازم نكتب اسمه المهم نكتب القرار، وسببه، ونتيجته.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

وحد يقرأها للي ما بيعرفش يقرأ.

طارق:

— الواد ده مش عايز بابا بوت كان ممكن يعمل هو ده.

نوح:

— بابا بوت هانشغله تاني بس دوره من هنا ورايح يقرأ السبورة
بصوت عالٍ. لحد ما نتعلم كلنا نقرأ.

الطفل (بشك):

— وهو بيقول الحقيقة؟

مضبوط:

— هيقول اللي مكتوب.

الطفل:

— وانتو هتكتبوا على السبورة الحقيقة دايماً؟

لم يجب أحد فوراً.

فاتن:

— هحاول.

الطفل (بعد تفكير):

— طب موافق. بس لما يغلط، أنا أطفيه.

ضحك الجميع، ولم يجد أحد حجة ضد شرطه.

طارق:

— ومين ها يحاسب اللي غلط لو الغلطة كبيرة؟

مضبوط (ببطء):

— قاضي.

ساد صمت مختلف، ثم التفتت الرؤوس كلها إلى سعيد.

وقف سعيد فجأة، ودفتره يسقط من يده.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

سعيد:

— مش أنا.

فاتن:

— محدش قال إنت.

سعيد:

— بس أنا اللي... (ينظر إلى منى، ولا يكمل).

وضعت منى سكين البطاطس، ومسحت يديها في ثوبها.

منى:

— مش هنختار قاضي واحد. هنختار ثلاثة. وهيقعدوا قدام الكل.

وأي حد يقدر يسألهم: حكمتوا ليه؟

سعيد (بصوت بالكاد يُسمع):

— ويتحاكموا هما كمان؟

منى:

— لو غلطوا.

جلس سعيد ببطء، وفي وجهه شيء جديد، لا هو راحة ولا هو خوف.

نوح (بتردد):

— في دور أيتام ثانية عملوا نظام زي ده، وممكن أحكي لكم عملوا إيه.

منى:

— احكي. بس إحنا اللي نقرر.

نوح:

— أكيد.

مضبوط (يفتح دفتره):

— أول قضية: الكافور والجنينة الخلفية.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

سالم:

— دي قضية خسارانه (أشار لشجرة الكافور) دي بتاعة شيخون
والجنينة الخلفية بتاعة سعداوي. عندهم الورق اللي يثبت ده.

رفعت زهرة رأسها لأول مرة، وفتحت دفترها.

زهرة:

— في الجنينة الخلفية: أحلام، وبكر، ونوران، وعشرين تانيين.
(تتوقف) ومعاهم عاصم.

سالم:

— بس الورق مكتوب فيه «أرض زراعية». ما هو مكتوبش
اللي تحتها.

مظبوط:

— واضح أن مهمة القاضي ها تبقي صعبه.

أنس (يرفع يده فرحاً):

— طب يلا نختار المدير!

جون:

— لأ! الأول القانون!

نظر إليه طفل صغير، من الصف الأول، وأخرج لسانه، ثم قال:

الطفل:

— إنت مالأك؟ هو إنت يتيم معانا؟

ضحك الجميع. وضحك جون.

جون:

— يتيم. بس ما اتربيتش في دار.

وهنا رفعت فاتن صوتها بخجل، وكأنها تعتذر.

فاتن:

— أنا... عندي حاجة أقولها. أنا بعلمهم القراية بعد الفجر، من ساعة ما سعيد مشي بس كان من ورا زيدان.

ساد صمت مفاجئ.

نوح:

— إيه! طب ليه من وراه ايه المكلة يعني؟

زهرة (بصوت ثابت):

— مية وخمسين عيل بيعرفوا يقرأوا.

نوح (بصوت ضعيف):

— من خمسة وعشرين سنة؟

فاتن:

— أه بس مكنش حد بيقول عشان كانت ممنوعة.

نظر نوح إلى أمه، ثم وضع يده على فمه. وجاء من خلفه صوت
جون، مبحوحاً:

جون:

— يعني انتي عملتي أول مدرسة في الدار، وإنتو مخبينها؟

فاتن (تبتسم، وعيناها تلمعان):

— كانت ممنوعة يا جون.

مضبوط (يفتح دفتره، مسرعاً):

— طب هو أحنأ عندنا كام طفل في سن المدرسة؟

زهرة:

— أربعمية.

مضبوط:

— أقرب مدرسة تبعد ساعتين وفاتن أكيد متقدرش تعلم العدد ده
كله ولا كمان تعلمهم كل حاجة.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

سالم:

— نعمل أتوبيس.

وفي الهاتف الذي في يد جون، صاحت أنجيلا بصوت مختنق:

أنجيلا:

— الأتوبيس بتاعكم!

الجميع:

— إيه؟

أنجيلا:

— أول يوم وصلنا، سألتكم: فين الأتوبيس الأصفر؟ أنتوا ازاي

نسينه مش فاهمة؟

كريم (طفل ٦ سنوات):

— عشان ده بتاع المزرعة ياطنط انجيك انيجل ان.. مش عارف

أقول اسمك بقي.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

ضحك الجميع

مضبوط (قاطع الضحك بحماس):

— الأسطول! احنا عندنا ستاشر عربية فخمة بتوع زيدان!

سعيد:

— نبيعهم؟

مضبوط:

— نبيع واحدة، ونشتري أتوبيس أصفر تاني. وباقي الفلوس مصاريف دراسة.

وارتفع من الجميع، لأول مرة، صوت واحد، لا هتاف ولا ضحك، بل شيء بين الاثنين.

نوح (وهو ينظر إلى الكافور، وإلى الدائرة، وإلى الأطفال):

— ده أول قرار.

ثم نزل من على المنصة، وكان يرتجف قليلاً.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

جون (للهاتف):

— أنجيلا، شفتي؟ إحنا لسه ما عملناش حاجة وعملنا كل حاجة.

أنجيلا:

— ده بالظبط شكل أول يوم في أي حاجة.

* * *

ثم نظر جون إلى الأطفال، وإلى الكبار الجالسين حول النار،
وأخرج كاميرته.

جون:

— اقفوا كلكم! هصوّرکم!

وقف الأطفال في صفوف طويلة. ثم تراجع جون، وتراجع، حتى
وصل إلى آخر الجنيّة.

جون (يخفض الكاميرا، بحيرة):

— مش هاینفع. مش هاتجيبکم في کادر واحد.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حکم الی مایأسوش

طارق:

— ده من كترنا ولا من صغر الكاميرا؟

جون:

— من كترنا.

وضحك الجميع، وجلسوا مكانهم.

وبعدها حكى سعيد قصة، وقرأ شيئاً من الخازباز، وغنى أنس
ضد اللحن، وأطلق سالم نكتة قديمة لم يضحك عليها أحد إلا هو.

جلس الجميع ده جنب ده وده جنب ده، كل واحد في حضن الآخر،
الأطفال والكبار، الجريح والناحي، حتى غلبهم النعاس واحداً تلو
الآخر.

وفي الهاتف الذي نسيه جون على الصندوق، ظلت أنجيلا تنتظر،
بصمت، حتى نام آخر طفل. ثم قالت بصوت لا يسمعه أحد:

أنجيلا:

— تصبحوا على خير.

وأغلقت الشاشة.

* * *

بعد منتصف الليل، في الجنية الخلفية، قرب القبور التي لم تُسمَّ بعد، جلس طفل في الخامسة، يعبث بشيء أسود في يده.

وجده على الأرض قرب القبر الجديد. هاتف صغير.

أقرب آخر كان في طريقه للعبث في الثلاجة كعادته الليلية كان علي ملابسه رقم ثلاثمئة وسبعة وعشرين على بعد خطوات،

كان مراهق في السادسة عشرة، دخل الدار جديداً قبل أسابيع، وكان من الذين ضحكوا في الطابور.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي ماييأسوش



رقم ٣٢٧:

— إيه اللي في إيدك ده؟ وريني.

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

أخذ الهاتف، وقلّبه بين يديه، ووضع على أذنه بالمقلوب، ثم أعاده. أضاءت شاشته ... «١٧ مكالمة فائتة — عمّك».

رقم ٣٢٧:

— ده بتاع مين؟

الطفل:

— وحش.

وفجأة، اهتز الهاتف، وأضاءت شاشته. وكُتب عليها بأحرف عربية واضحة:

«عمّك».

نظر الولد إلى الشاشة. لم يكن يعرف أن يقرأ بما يكفي. لمس الزر الأخضر بعد تردد.

رقم ٣٢٧:

— ألو؟ مين معايا؟

وجاء من الطرف الآخر صوت دافئ، ودود، كالخبز الساخن:

— أيوه يا حبيبي. أنا عمو شيخون.

وتوتة توتة

حد غيرنا هيكمل الحدوتة

محمد صبحي

نوفبر ٢٠٢٦

الفاشوش — الرواية الثالثة — حكم اللي مايأسوش

في هذه الرحلة الأخيرة، لا يعود الصراع بين شخص وآخر، بل يتحول إلى معركة وجودية ضد منظومة متكاملة تُورث العجز والجهل المقنع.

أن الخلاص لن يكون هبة من حاكم، بل هو وعي يُكتسب وقانون يُحتكم إليه:

الدين يُسرّ والخلافةُ بيعَةٌ والأمرُ شورى والحقوقُ قضاء

"هذا ما يفعله التعليم للوطن الضائع".

عن المؤلف :محمد صبحي، كاتب ومحام
حقوقى مصري، عمل لسنوات طويلة في
الدفاع عن الحريات العامة والحقوق
الأساسية، وشارك في مبادرات وأبحاث
متصلة بالعدالة الجنائية. مؤلف للعديد من
المؤلفات تنوعت بين الفكر السياسي،
والدراسات الحقوقية، والعمل الأدبي الساخر.

من أبرز مؤلفاته:

- كتاب: الشاهد على نظام يحتضر
- رواية: نقابة الحرامية

